

المثقفون

العرب

والثقافة

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

النفسية



وكان من بين هؤلاء واولئك — في شتى انحاء العالم المعادي للعرب — والعالم المعادي للعرب على راسه او راسه الفكر والمدير والمنفذ ، هو اوروبا او الاستعمار القديم ، وامريكا او الاستعمار الجديد ، كان من بين هؤلاء واولئك نخبة من اساتذة بعض الجامعات في امريكا ، ومعهم بعض المتخصصين في الدراسات العربية والانثروبولوجية وشؤون الشرق العربي ، او الشرق الاوسط العربي كما يسميه الاستعمار ، وقد وضعوا دراسة مستفيضة عن اسباب نكسة الخايس من حزيران ، او هزيمة العرب امام اليهود ، ونشروا هذه الدراسة في مختلف وسائل

وعندما وقعت الكارثة وحلت النكبة على نفوس ابناء هذه الامة ، وعندما ابتهج المخططون لهذه النكبة ، والمهندسون لتنفيذها ، والذين كانوا وراءها ، يدعونها بامكانياتهم الهائلة ، ويؤيدونها بمختلف وسائلهم العلمية ، ويباركونها بقلوبهم وعقولهم . اقول عندما وقعت الكارثة ، وحلت النكبة ، راحوا يلغون الدروس والمعبر والمواظ ، ويفلسفون الاسباب التي ادت الى هذه الانكاسة الكبيرة التي لم يكونوا يتوقعونها بهذا الشكل ، ويضعون الدراسات المسهبية والابحاث المستفيضة ، والمقالات النمقة المدروسة .

والقضاء عليها . واللغة العربية غير صالحة لهذا العصر ، والدين سبب من اسباب تاخر الامة ، والثرات المتبلد بعصارة افكار العلماء والادباء المتقدمين يعوق تقدم الامة ايضا ، والتاريخ ماض مليء بالاكاذيب ، الى غير ذلك من اقوال مسيومة ، وافكار وادعاءات لا تستند الى منطق سليم ، او فكر نير ، او دليل قاطع .

هل المحافظة على العرض كانت يوما من اسباب تاخر الامة ؟ اية امة من الامم ؟ وما هي علاقة العرض بتقديم الامة ؟ وهل انتهك الاعراض يقدم الامة ويرفعها الى مستوى الحضارة والدين ؟ وهل الحضارة الغربية التي نشاهدها اليوم جاءت نتيجة لانتهاك الاعراض في الغرب ؟ اي منطق هذا المطلق الذي يقول ان انتهاك الاعراض يقدم الامم ، وان المحافظة على الاعراض يؤخر الامم ، وهل الامة العربية نهزمت حقاً من جراء المحافظة على الاعراض ؟ لم نسمع في يوم من الايام ان حضارة امة من الامم قايت على انقاص اعراضها ، وما هي علاقة الاعراض بالامة ، وبتقدمها ، ورفيها ، وما نحسب ان حضارة الغرب هذه قايت على انتهاك الاعراض .

والدين ما علاقته بالهزيمة ، وهل حقاً ان الدين يؤدي الى الهزائم ، والى تاخر الامة والى سقوطها ؟ الذين ام رجال الدين ؟ لو ان هؤلاء المتقدمين الذين يحجون ان الدين من اسباب تاخر الامة وهزيمتها شربوا لنا كيف ذلك ، واقتنونا بالادلة والبراهين لاختلف الامر ، ولاصبح بالامكان مناقشتهم ، ولانهم يتكلموا سبب تاخر الامة وهزيمتها ، والتكسبة التي حلت بنا ، برجال الدين عندنا لوافقناهم على هذا التعليل ، اما انهم يدعون ان الدين من اسباب تاخر الامة العربية ، فهذا ما لا نوافق عليه .

ان الدين شيء ورجال الدين شيء اخر ، والذين يتاجرون بالدين ، ويحرفون الكلم عن مواضعهم اولئك الذين يجب ان تنصب عليهم ، لعنة الدنيا والاخرة ، سواء كانوا على شكل افراد او احزاب او جمعيات .

ان الدين ليس له علاقة بتاخر الامة ، وان الدين ليس سببا من اسباب الهزيمة ، فعلم هؤلاء يضعون الدين سببا من اسباب التي يدعون الى هدمها وتقويضها ، هل يعنون بالدين تلك الاسرائيليات التي دستها الصهيونية العالمية ، وروجت لها في العالم ، واخذها بعض الاغبياء من دعاءه السدين كحقيقة واقعة ، وانخدعوا بها الى حد نشرها بين الناس ؟

هل الصهيونية انتصرت على العرب بتقويض دعائم دينها ، والدعوة الى هدمه والقضاء عليه ؟

النشر والاعلام ، وقد جاء في هذه الدراسة ان اسباب الهزيمة هو ان العرب ما زالوا يتسكنون بتقاليد الشرف القديمة ، والمحافظة على تقاليد العائلة ، ومنها شرف المحافظة على المرأة ، وعلى الثرات الذي لم يعد صالحا في هذا العصر المتطور . ثم راحت اجيزة الدعاية التي تسيطر عليها الصهيونية العالمية تضرب على هذا الوتر ، في كل مناسبة ، والمخابرات الامريكية كما هو معلوم ومفهوم من هذه الاجيزة ، انفتت ولا زالت تنفق الكثير من الاموال الطائلة ، لزراعة نكسة العرب بحضارتهم ويلغتهم وبنراتهم .

لقد تاثر بعض المتقدمين العرب بهذه الحملة الاعلامية ، ونستطيع ان نقول ان بعضهم تاثر ماديا ، وبعضهم تاثر فكريا ، وهؤلاء من اخطر الذين تاثروا بهذه الحملة الاعلامية التي تهدف الى زعزعة ايمان العرب بنراتهم ، وبحضارتهم ، فصدرت لهم صحف ومجلات براقة ، جميلة المظهر ، رائعة الاخراج ، مرفقة في تبويها وفي تنظيمها ، وفي تلويها ، تطغح عليها مظاهر البذخ والبذل ، ويقوم على اصداها وتحريرها وجوه عربية متفقتة متعلمة ، حتى لا تثير الشبهة ، وحتى يصبح في الامكان تقبلها من قبل الراي العام العربي . ومن خلال صفحاتها الصليقة الناعمة تسيدي الافكار والآراء التي تدعو الى هدم الحضارة ، وتقويض دعائم الثرات ، والثرات العربي مليء بخلف معاني الخلق الرفيع ، والتشريف المنيح ، والتقاليد الحسنة .

هؤلاء المتقدمون ، اما انهم مضالون ومخدوعون ، واما انهم مقتنعون بهذه الافكار لتاثيرهم بالعلماء العرب ، ولجهلهم الحضارة العربية ، واما انهم يرتزقون بيههم كسب المال ، ولو على حساب امهم وشرفها وكرامتها . هؤلاء رفعوا راية الهدم وتسليمها من اعداء الامة العربية ، وساروا فيها يغيثون سمومهم وافكارها التي يتلقونها بصورة مباشرة او غير مباشرة ، من منظبي ومخططي الاعلام ضد الحضارة العربية والثرات العربي .

ان الدين واللغة العربية والاخلاق والتاريخ ، هي الوسائل التي يركز عليها الاستعمار العالمي والصهيونية العالمية ، وهي دعائم الامة العربية ، ان استطاعت الصهيونية العالمية النيل منها اصبح في الامكان السيطرة على هذه الامة العربية سيطرة تامة ، واصبح من السهل التمكن منها وتسخيرها لاطماعها واغراضها .

ان هناك بعض المتقدمين العرب يضررون على وتر التقاليد والاخلاق ، واي تقاليد واخلاق يحاولون هدمها والقضاء عليها ؟ انهم يدعون مثلا ان المحافظة على العرض من هذه التقاليد التي يجب تقويضها

إذاً لماذا هذه التسميات التي تدعو إليها ولماذا حائط
الجبكي وهيكلي سليمان ؟

ان الدين لله وهو عبادة ومثل خلق ونظام للناس
يهتدون بهديه ، وينظمون حياتهم اليومية على هداية .
ان النصر حليف العابدين ، وان الهزيمة حليف
القاعدين عن العمل ، وليس الدين سببا من اسباب
تاخر الامة العربية ، وانها السبب هم رجال الدين ،
الذين اساءوا الى الدين اساءة بالغة ، بالانحراف عن
تعاليمه السليمة ، ودعوته الصادقة ، الى العمل والى
الحق والى العدل والى الخير .

إذا ما بال هؤلاء المحققين يضعون الدين في قائمة
اسباب الهزيمة ، وهل في الدين تعاليم تتنافى والعمل
الجاد ، وتتعارض واصلاح الامة ، وتنفيقي النفوس
من الضغينة والحقد ، وتدفعها الى التقدم والى الوحدة
في القول وفي العمل ؟ لم نر في الدين ما ينافي ازدهار
الامة ، وتقدمها وتطورها . لكن الذين يشوهون الدين
في افعالهم واعمالهم المخافية للدين هم الذين سيلقون
عقابهم الذي يستحقونه ، وسيأتي اليوم الذي
تحاسبهم فيه الامة على ما اقترفوه بحق الدين والتلاعب
بتعاليمه السليمة النيرة ، وسيلقون ما يستحقون من
عقاب ، وفي التاريخ امثال وامثال .

واللغة العربية كيف اُخرت الامة ؟ وكيف ادت هذه
اللغة الى التفسد ، وما هي اللغة القوية التي تخلق
الاقوياء حتى نتبعها ونؤمن بها لتكون اقوياء ، وهل
صحيح ان اللغة العربية من اسباب تاخر الامة العربية ؟
وما هي الدلائل على ذلك ؟ هل لانها هينة بغير ثباتها
وبالفاظها وبقواعدها ، وبمصطلحاتها ؟ ام لانها غنية
باعجازها وبياناتها وبلاغتها ؟ لم يطرح لنا دعاة الفناء
اللغة العربية وتقويضها اي شيء بديلا لهذه اللغة
الحية ؟ لقد انهزم دعاة الحرف اللاتيني من قبل ،
وانهزم دعاة العامية ايضا ، ولم يزل من هذه اللغة
اي ممول من مصول الهدم والتخريب ، وبقيت اللغة
العربية من اقوى اتلفات وانغاثها وامنتها ، بقيت
لتربط حاضر الامة بماضيها الحافل بالافكار النيرة والآراء
السديدة .

لماذا إذاً تكون اللغة العربية من وسائل الهزيمة ،
ولماذا تكون اللغة العربية من اسباب تاخر الامة
العربية ؟ وهل حقا ما يدعون ؟ ام انها من وسائل
ربط هذه الامة المبتدنة من المحيط الاطلسي ، الى الخليج
العربي ؟ ولماذا تشتد هذه الدعوة التي تجعل اللغة من
اسباب تاخر الامة ، في هذا الوقت ومنذ تكتسح حزيزان ؟
هل جاءت هذه الدعوة غفوا خاطر ، ام انها امتداد
للخطط الصهيونية العالمي ؟ الذي يحاول احياء لغته
الميتة ، ليفرضها على جزء من وطننا المحفص ؟
ان الامة بلغتها ، ولغتها هي لسانها المعبر عن

افكارها وآرائها ، واللغة العربية ، هي التي حفظت
التراث العربي ، بل والتراث الانساني ، وهي التي
اغنت الحضارة الغربية الزاهية التي نرى اليوم تقدمها
وازدهارها .

ان الغرب كان يتسابق على نهب التراث العربي ،
وله مكتباته من كتب هذا التراث ، في الوقت الذي
كان يحاول فيه افناء وابادة هذا التراث من الوطن
العربي ، كان يسير على خطين متناقضين ، ابادة
كتب التراث وامناؤها في داخل الوطن العربي ، وسرقها
ونقلها الى بلده ليستفيد من كنوزها الذهنية والعقلية ،
حتى اصحت مكتباته تجم بالكثير من امهات الكتب
العربية ، علمية وغير علمية ، منها كتب في الفلك وفي
الطب وفي الهندسة ، وفي الكيمياء ، ومنها كتب في
الفلسفة وفي التشريع وفي التاريخ ، وفي الجغرافيا
وفي الادب وفي الشعر وفي الاجتماع ، وفي غير ذلك من
العلوم والآداب والفنون ، حتى اصبحنا نستعدي من
مكتباته بعض مخطوطاتنا وكتبنا .

ان التاخر الذي اصاب الامة العربية ليس من
اللغة العربية ، وانما اصابها من ذلك الغزو الذي حاول
القضاء على اللغة العربية بنهب مقوماتها ، ليستفيد
هو منها ، وليحرمها على اصحابها .

ان مكتبات الغرب تتهلى بالكثير من المخطوطات
العربية القيادية التي استفاد منها فائدة عظيمة في بناء
حضارتهم هذه ، وما زال يحتفظ بها ، ويستند منها
الفكر النير والاري والصاب والثقافة الواصلة .

وبينما نرى هذه الحقائق امام اعيننا اذا بعض
مفتقنين يعطلون تاخر الامة العربية من لغتها وهم انما
يخدمون بذلك اغراض الصهيونية العالمية ، والاستعمار
العالمي ، القديم والجديد ، من حيث يعطلون او لا
يعطلون .

حتى الشعر يشكون فيه ، ويدعون الى الفناء ،
وينادون بهسخه ، وتشويهه ، والشعر العربي
العظيم ايضا . اسباب الهزيمة وتاخر الامة !!
والتاريخ ايضا من اسباب هزيمة الامة ، اذاً
فليُتْلَغ التاريخ وليُهدَم ، اذا كان ذلك يعوق تقدم
الامة واازدهارها .

ان بعض المحققين من ابناء امتنا دعوا ويدعون الى
الفناء التاريخ ، لان التاريخ كما يدعون ما هو الا
الرجوع الى الوراء ، والرجوع الى الوراء رجعية وتاخر ،
والتاريخ ماضى مضى وانقضى ، ونحن اليوم في
الحاضر ، علينا ان نركز عليه وان لا نلتفت الى الوراء .
هكذا يدعو بعض المحققين ، وبهذه الطريقة الى
عدم الالتفات الى الوراء ، وينادون الى البقاء من
جديد ومن الحاضر ، لكن انترامه يبدون من الصفر ، ام
تراهم يبدون من حاضرهم الذي يعيشون فيه ،

ان الحفاظ على العرض ، هو شرف الامة ، وكرامتها ، لكن التعصب الاعمي ، واعتبار المرأة اقل من الرجل في الحياة الاجتماعية ، لا يجوز في هذا العصر المتطور الذي تحتاج فيه الامة الى مجهود ابنائها من الجنسين ، والذين يدعون الى عزل المرأة عن الرجل في مختلف اوجه النشاط الاجتماعي ، انما يدعون الى شل نصف نشاط الامة ، ونظرتهم هذه الى المرأة انما تنسب اليها واليهم ايضا ، والكفاءة كما هي موجودة في الرجل ، موجودة في المرأة ايضا ، والعمل يتقبل الرجل تماها كما يتقبل المرأة ، وكما ان العمل ينبذ الرجل غير الصالح ويتقبل الرجل الصالح ، ينبذ ايضا المرأة التي لا تصلح له ويتقبل المرأة التي تصلح له ، والعمل اي عمل يجب ان يتولاه الانسان الصالح سواء كان هذا الانسان امرأة او رجلا .

ان الدين عبادة للخالق العظيم ، ونظام اجتماعي للناس ، وهدى يهتدي به البشر الى الطريق السوي في الحياة ، وتشريع ينظم حياة الناس ، بل انه مثل وخلق عليا ، يهذب النفوس ، ويظهر القلوب ، لكن دعاء الدين ان ضلوا وانحرفوا وتاجروا به فالعيب فيهم وليس في الدين ، وعلى الامة محاربتهم والقضاء عليهم ، حتى لا يسيئوا اليها عن طريق اساءتهم الى الدين .

ان اللغة العربية هي لسان اماننا ، وقد اعطت الكثير ، واغنت بثراتها وبقواعدها وفلسفتها الحضارة العربية ، والفراش العربي ، واستطاعت ان تنسجيب تطور الحياة وتقدم العصر ، لكن بعض المثقفين حينما يعميون على اللغة العربية صوبية قواعدها ، وتسميها ، فالعيب ليس في اللغة وانما العيب في اولئك الذين لا يكفون انفسهم عناء البحث والدرس . واللغة هي اهم وسيلة لتطور الامة وازدهار تقدمها .

ان الحرب معلنة على هذه الامة وعلى حضارتها ، وعلى تاريخها وتراثها على مختلف المستويات والصهيونية العالمية يساندوا الاستعمار العالمي ، تعمل على هدم الحضارة العربية ، وتشويه تراثها ، والنيل من دينها السامي ، تستطيع السيطرة عليها ، ومن ثم افناؤها وابادتها ، وبعض المثقفين يسخرون اقلامهم للنيل من حضارة هذه الامة ومن تاريخها وتراثها ، ويقدمون بذلك اجل خدمة للصهيونية العالمية التي استطاعت ان تسخر في خدمتها مخابرات الاستعمار الامريكاني الجديد الذي اخذ يوجه كل ما يملك من وسائل الحرب النفسية على امنا العربية .

وافكارهم وعقولهم وقلوبهم تنتمي بهذه الآراء التي ينادون بها ، وهذه الافكار التي يدعون اليها ، وهل تراهم قادرين على بناء شيء جديد يرتفع بآمتهم ، ويسير بها الى المجد والعلو ؟ ام تراهم سييئون بانثشاء امة ميسوخة ، لا هي بعربية ، ولا هي بغربية ؟ امة مقطوعة من التاريخ ليس لها اساس ، ولا تقوم على قاعدة راسخة مبنية ، وهل هناك امة منقطعة عن تاريخها وماضيها ، وهل الامة التي تاتروا بها نشأت من الصفر ، ام انها طورت نفسها باضافة الجديد على الماضي ، والفناء الفاسد وادخال الجديد الذي يتلاءم وطبيعتها ؟

وهل نستطيع ان نلغي التاريخ ، ونبني انفسنا من جديد ، دون مادة ودون وسيلة ؟ ام اننا نلغي تاريخنا لتبني انفسنا مستعنيين من حضارة الغرب المادة والوسيلة ؟ وهل تصلح مادة الغرب ووسيلته لبناء امة عربية جديدة ، جديدة في افكارها ، جديدة في تقاليدها جديدة في دينها ، جديدة في لغتها ؟ لو ان بعض الذين ينادون بالفناء التاريخ حصروا دعوتهم في الفناء الفاسد من التاريخ ، والبحث عن الحقائق المجردة ، لكانت دعوتهم دعوة صادقة ناجحة ، لكنهم حينما يدعون الى الفناء التاريخ مرة واحدة ، واهمال التراث بهذه الصورة الاعتباطية فلا شك انهم فاشلون بهذه الدعوة .

وهل تراهم يدعون الى الفناء التاريخ حاضرا ومستقبلا وطيس كلمة « تاريخ » من قاموس اللغة ومن الوجود ؟ وهل الامة ، او الامم التي تاتروا بها ، الفت من قواميسها كلمة « التاريخ » ام ان المقصود هو الفناء التاريخ العربي بالذات ؟ ان التاريخ كما نعرفه ، انما هو اساس الامة ، وعماد حضارتها واي امة من الامم ، لا يوجد لها تاريخ ، لا بد امة ميتة ، واي امة حية تلي تاريخها تكون بذلك قد حكمت على نفسها بالوت والفناء .

اذا اردت ان تقضي على اي امة من الامم فافصلها عن تاريخها ، واحجب حاضرها عن ماضيها . واذا اردت ان تقضي على شجرة باسقة نامية مثمرة فاجتث عروقها من اساسها . والتاريخ هو اساس الامة وعروقتها التي تستند منها الحياة . ومن اسباب الهزيمة ايضا التقاليد ، كل التقاليد ، كما يدعون .

ان هناك تقاليد بالية يجب القضاء عليها ومحاربتها والتخلص منها ، والامة الحية هي التي تستطيع ان تتطور مع الزمن ، اما التقاليد التي تتنمل بالخلق والتشرف والمروءة ، فهي التي يجب الحفاظ عليها لانها معنى الحياة .

الجمعة الآفلة

في فجر خميس منذ ستة أعوام
لفظ العقاد العظيم آخر أنفاسه ،
وشاء قدر لا يتخلف أن يحرم
تلاميذه متعة الجلوس إليه يوم
الجمعة .



أيصبح المجلس ما فيه أحد
أذن فليت ليت ما يجيء غد

•
وعدنا كان غداً منذ سنين
لكن موعداً أراد المنون
منذ قرن وقرن وقرن
هل ، فدار الكون وارتخت يدك
والجبل الحي هوى بلا حراك



•
سئمت يا ابن النيل ماءه الذليل
سئمت أن تطغي ولا تطغي الحقول
وأن تهيم بالقتال لا تقول
وخفت أن تسلم بمنك القلم
وأن تعيش مفرداً مع السأم

•
قالوا : سبتقي منه كُتب كالعباب
قلت لهم : أي عزاء يا صحاب ؟
أروعها مضي ، مضي أقوى كتاب
فما الذي يفيد خالق الصور
من سيرة تبقى ، ومن بعض الاثر ؟

•
وعدنا مع الصبا ، مع الندى ،
مع المدي يضرب في ألف مدى
ليس غداً . فما أشقه غدا
الرجل الحبيب ضمه التراب
فالكون ، كل الكون مقمر بياب .

الحساني حسن عبدالله

موعدنا غداً ، أتول للرفاق
موعدنا غداً ، فنحن في اثنتي
إلى الجلال الطفل ، والضوء المراق
أجل ، غدا . لكنه ليس هناك
الجبل الحي هوى بلا حراك

•
أين مضي ؟ كرسية الخالي استراب
أين الجبين الحر ؟ وراه التراب ؟
أجابت الجدران عني : غاب غاب
وخلف الكتب لقراء صفاء
ليست لهم عيون صقر لا تمار

•
مضي ، يقولون مضي ، ولا لقاء
أنا أثك . كيف يعرفه الفناء !
غدا إذا تنفس الصباح جاء
غدا نراك يا أبي ، غدا نراك
أجل ، غداً ، لكنه ليس هناك

•
الصقر أطبق الشفاه والجفون
الصقر ! آه لو تشفق السكون
عن كلمة ، ولو فتحت العيون
قد خالنه الصوت وخالنه البصر
وكان قبل لا يقر لا يقر

•
لا ، لا تقولوا قد مضي ولن يؤوب
أريد أن أسأل : ما بعد المغيب ؟
موعدنا غدا ، فربما يجيب



فن ذكرى العقائد السادسة



— الحديث عن العقاد — طيب الله ثراه — شيق عذب لا يمل المتحدث من الإطّباب فيه وتكراره مثله في هذا مثل أدبه وشعره فكلها أعادت النظر والتأمل فيها كلها خرجت بشيء جديد نافع .. وما دينا بصدد الحديث عن العقاد في ذكره السادسة التي تصادف اليوم الثاني عشر من شهر — مارس — القادم فهذه إطلالة عاجلة ولحاحات خاطفة حوله وحول تراثه الأدبي ، تحية منا متواضعة وبساهبة بسيطة في أحياء هذه الذكرى الخالدة . وسنمر في حديثنا هذا مرور الكرام واضعين نصب أعيننا ضيق المجال والغرض من كتابة هذا المقال .

— « غناك في نفسك ، وقيمك في عملك ، وبواعثك أخرى بالعناية من غاياتك ، ولا تنتظر من الناس كثيرا تحيد عاقبتهم بعد كل انتظار » ، بهذا المثل الأعلى شق العقاد طريقه في الحياة صابدا أمام الصعاب التي اعترضت طريقه ، بتغلبا عليها بشجاعته المعهودة ، وقال كلمة الحق غير عابيه بلوم اللاتمين وسخط الساخطين ، وكان من جراء اعلائه للاحق أن ادخل السجن ليقتضي فيه تسعة أشهر خرج بعدها أعلى شهوفا واشد صلابة في الحق وأكثر تمسكا براهيه ، واستمع اليه وهو يقول — بعد خروجه من السجن — عند ضريح سعد زغلول :

« وكنت جنين السجن تسعة أشهر
فها انذا في ساحة الخلد اولد
عداتي وصحبي لا اختلاف عليهما
سيمهدين كل كما كان يمهّد
والحق يقال انه ما قصر بالوفاء
بوعده .

مقطعات من سيرته

— رأى عباس محمود ابراهيم مصطفى العقاد النور لأول مرة في اسوان ٢٨ يونيو سنة ١٩٨٩ من اب مصري وام كردية الاصل ، وكان جده الاعلى يعمل في النسيج بدمياط فحاجت تسمية العقاد من عقدة خيوط الغزل . وقد اخذ العقاد من والده حبه للنظام

« الاديب الذي يعتد على الدولة
في نشر مبدئه وآرائه يستحق تحطيم
قلمه »

« العقاد »

وحفاظه على المواعيد وتفضيله للسهولة ومن والدته استمد صلابته في الرأي وقوة المراس والعناد وقوة الشككية التي بجانب السمات الجسدية كطول القامة .

— كان الجو المحيط بالعقاد منذ نعومة أظفاره مشبعاً بالآداب وصنوف المعرفة ، فقد اطلع على المجلات والصحف التي كان يفتنيها والده والتي كان يجلبها الزوار الإحباب الذين كانوا يقدون لرؤية معالم أسوان التاريخية ، هذا إلى جانب الفنون التي كان يضرها بصحية والده . وقد حصل العقاد على الابتدائية سنة ١٩٠٣ وهي الشهادة الدراسية الوحيدة حيث اكتفى والده بها ، وتقل في وظائف مختلفة أخرجها فضوية الجمع اللغوي ومقررا للجنة الشعر في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب .

— شب العقاد وشاب محبا للراءة والإطلاع على شتى ألوان المعرفة العربية منها والأجنبية على السواء ، وقد كان لاطوائيه فضل كبير في هذه المحبة ، فلا غرو أن يسميه أصدقائه بدائرة المعارف فقد تجاوزت مؤلفاته المائة في مختلف الآداب والعلوم والفنون الإنسانية ، ومكتبته تحوي ما يربو على الأربعين ألف مجلد . وقد منحته الدولة جائزة التقديرية للآداب سنة ١٩٦٠ تقديرا واعترافا من مجهوده في هذا المضمار .

العقاد كاتبا

— صدقت نبوءة الشيخ محمد عبيد عن العقاد عندما تنبأ له بنقوته في الكتابة : « ما أجدر هذا كاتبا بعد » وكان يشير إلى العقاد التليذ في الإبدائية بعد أن اطلع على كراسة الانشاء التي تخصصه وأعجب بوضوعاتها ولم ينس العقاد اعتراف الشيخ به فالف كتابا باسمه .

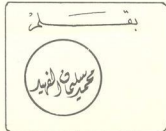
— والعقاد له أسلوبه الخاص الذي يمثل فكرته وشخصيته ، فهو لم يحاول في كتاباته تقليد من سبقوه والنهج على منوالهم لأنه كما يعتقد :

« لا توجد نسخة مكررة من أديب يستحق أن يقرأ ، لأن الأديب المكرر يستغنى عنه بالنسخة الأصلية » .

— ويخطيء من يتصور أن العقاد يتوخى في كتاباته الأسلوب المقصد الخشن انفرادا منه بهذه الجزرة دون سائر الكتاب ، وفي الحقيقة أن أسلوب العقاد رصين يمتاز بالتفكير العميق والتحصيل والتدقيق الجاد خدمة للعلم والمعرفة لا طلبا للشهرة والثروة التي كان يمكنه الحصول عليها — كما قال — من تأليف القصص الجنسية التي يحسبها الصغار انتصارا فترج بينهم ، ولكنه نأى بنفسه عن هذا الطريق لأنه لا يخدم الأغلبية .

— والسمة البارزة في كتابات العقاد اعتداده بنفسه فأماض عليها من شخصيته ويظهر ذلك في تبانه على الرأي ودفاعه عن الحرية التي قرن الجبال بها فأصبحا شيئا واحدا فيقول : « نوحب النعمة مضطرين ، ونحب الجبال مختارين » ، لأن النعمة تيد والجبال حرية .

— أما عن طريقة اختياره الموضوعات فكان الكتابة كالمسرح : الشخصيات تلك التي لم نزل نحدرا كافيًا من التعريف بها ، أو الإبانة عن حق مغبور لم يتطرق إليه أحد بمق ، أو الدفاع عن حقيقة مجبولة . — ولم يشترك العقاد في فن كتابة القصة إلا مرة واحدة بقصته « ساره » وتدور أحداثها لتحكي قصة حبه لساره الأجنبية (اليس داغر) التي اسدل الشك ستاره عليها فلم تدم محبته لها إلى أن مات . والقصة



عبارة عن تحليل نفسياتي لبطليهما همام وساره .

العقاد شاعرا

— أرسى العقاد مع زميله شكري والمازني حجر الأساس لدراسة الديوان في المقصد الأول من القرن الحالي ، وقد أخذت على عاتقها تحديد مفهوم الشعر والانتقال به من حالة الجبود والركود — المتهللة في صورة محاكاة القديم — إلى ما هو عليه الآن من تجديد . وقد كان لإطلاع أصحاب هذه المدرسة على مؤلفات الغربيين وأشعارهم غزل لا يمكن تجاهله في نهضتهم بالشعر ويعرف العقاد الشعر بأنه : « التعبير الجليل عن الشعور الصادق » أو كما قال : « كل ما نلخ عليه من أحاسينا ونفيض عليه من خيالنا ، ونتخلله بوعينا ونبت فيه هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر ، لأنه حياة وموضوع للحياة » .

— وللعقاد عشرة دواوين تحوى العديد من القصائد في مختلف المواضيع ولم يتخذ صاحبا الشعر مكمسا يستعز من ورائه كما جرت عليه عادة الشعراء الأولين وبعض من المعاصرين له وعلى رأسهم أميرهم القائل للخديوي :

فاسمع لعبدك ، وابن عبدك ، بنطقا

متظاهرا بك في القوافي صيته في الوقت الذي نادى العقاد بأعلى صوته :

والشعر من نفس الرحمن مقبّس

والشاعر القذّيب القناس رحين — هذا هو العقاد الشاعر الفذّ الذي اتبرّى بقلبه مداوما عن كرامة الشعر والشعراء رادا إليها اعتبارها ومكانتها فكان خير مدافع بلا منازع ، مما حدا بمعيد الأدب العربي طه حسين أن يسارع إلى مبايعته بآبارة الشعر : « ضموا لواء الشعر في يد العقاد وقولوا للآباء والشعراء : اسرعوا واستقلوا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه » .



العقاد ناقداً

— الناقد الحقيقي في رأي العقاد هو الذي يذكر للمحسن أحواله وللمسيء سيئاته ، وفي القديمتين اللتين كتبها في كل من ديوان شكري والمازني حدد منهج مدرسة الديوان في النقد ، فمهمة الشعر الأساسية « لا تنحصر في الفكاهة العسجلة ، والزفرية عن الخواطر ، لا بل ولا في تهذيب الاخلاق ، وتلطيف الاحساسات ولكنه يعين الامة ايضاً في حياتها المادية والسياسية ، وان لم تتردد فيه كلية عن الاقتصاد والاجتماع ، فانها هو كيف كانت موضوعاته وابوابه ، مظهر من مظاهر الشعور النفساني، ولن تذهب حركة في النفس بغير اثر ظاهر في العالم الخارجي » . ويشترط العقاد ان يكون الشاعر صادقاً في تعبيره عما يجيش في نفسه من احساس وشاعر اراء اي موقف من المواقف ، وان يخبرنا عن طريق هذا التعبير ما يكون عليه هذا الموقف لا ما يشبهه ، فالعقاد لا يستسيغ المحسنات اليديعية المتكررة والتشبيهات الجاهلة . وقد نادى بالجدديد في القافية بحيث لا تشكل عائقاً في وجه الشاعر كان لا تتعبد القصيدة مثلاً بوحدة القافية في جميع ابياتها على الا تخرج عن طبيعة اللغة العربية . — وما رايه في الشعر الحديث

(الحر) فهو يرى ان : « الشعر الحديث لا يقوم على قواعد محدده فهو في حقيقته نثر في اسلوب شعري ولا يستدعي الغاء الشعر الحالي » والعقاد لا يفتل الى جانب هذا الشعر المنثور فكان وهو مقرراً للجنة الشعر يحول ما يصل الى يده منه الى لجنة النشر .

العقاد والمرأة

— ليس من الانصاف ان نحكم على العقاد انه عدو المرأة ، بل هو على العكس يقدرها ويحترمها ويدافع عنها وقد حاول جاهداً ان يضعها في المكان المناسب ، فهو لا يمانع ان تظهر المرأة بحقوقها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها شريطة ان لا تنسبها ونخرجهما هذه الحقوق عن واجباها الاول الذي خلقها الله من اجله وخلقها من اجلها وهو تربية النشء وتدبير المنزل وما هذا بالواجب السهل ، اما عن مساوئها مع الرجل فيرى العقاد ان في هذه المساواة تحديلاً صريحاً لقوانين الطبيعة فالمرأة تختلف في تكوينها الجسماني وتغيرها — حيث اعتادت التقليد — عن الرجل ، والفرض من وجودها في رايه حفظ النوع ، وذلك على رايه بالانسان . القرآن وشواهد من الشعراء والفلاسفة — وخاصة فلسفة شوبنهاور — وساق الامثلة من التاريخ . — والمرأة امرأة مهما جاءت بجديد مبتكر واستمع الى قوله :

**ايما لفظلة جرت
من فم المرأة امراءه
تبتقي الزوج من فئه
والأخلاء من فئه
ليس بالجسم وحده
يمصرف الجنس منشاه**

دفاع عن العقاد

— نود قبل ان ننهي الحديث عن العقاد في ذكره هذه ان نرد على ادعاءات بعض المنتهجين على العقاد وادبه واسلوبه راميته بشتى العيوب دون ترو او تأكد ، وما هذه من

صفات المنصف للعقاد وادبه ، ولو نظرنا الى مزاعمهم لما وجدنا لهم عذراً في تهجمهم والحق من قدر هذا الاديب بهذا الشكل المزري الذي لا يصدر الا عن احد اثنين : اما جاهل بالادب وهو يتخبط ويتهاجم دون دراية لضلالة ثقافته وضيق افقه ، وما كان العقاد في حياته ليرد على امثال هذا المنتهم لانه يطلب الشهرة من اوعر الطرق المؤدية اليها وبأي وسيلة كانت . والمنتهم الثاني لا يعمد في حقيقة امره احد خصوم العقاد الذين لم يكن في مقدورهم مصارحة العقاد في حياته فجهوه بعد مماته دون مراعاة للاصول المتعارف عليها .

ومعيب البعض على العقاد التعبد في الاسلوب ، والحقيقة ان اسلوبه ليس صعباً او معقداً ولكن الصعوبة هنا في فهم الاسكار التي يحويها الاسلوب ، ومن الطبيعي ان تختلف عقلية كل قاري ومستوى تفكيره وليس هذا عيباً في ادب العقاد على كل حال وهذا السبيل ولهم درايموند يقول : « ان من لا يريد ان يفكر بتعصب اعى البصيرة ، ومن لا يستطيع ان يفكر ابله ، ومن لا يجزؤ على التفكير فهو عبد » والعقاد بعد هذا لا يرضى ان يكون القاريء له واحداً من هؤلاء الثلاثة فهو يقول « انني لو علمت ان قصاري ما اسو اليه بالادب ان اروح باورائي على وجه القاريء كما يروح الخادم بالمرحوة على وجه سيده المتصرف عنه بنعاسه وشجونته لما كتبت حرفاً ، ولا فنتحت كتاباً ، ولاخترت — ان خريت بين الاثنين — ان يروح الناس على وجهي بذرهم ابذل ، على ان اروح على وجه الناس بما ابذل فيه كناية نفسي ، وخليفة عقلي ، وخلاصة ما انفتحت من انفس حياتي » . — رحم الله علقاق الادب العربي الكبير عباس محمود العقاد رحمة واسعة فقد كان شيخاً للادب يحل من قضاياه ما يشاء ويعتد .

من معالم

الطريق في الأدب العربي الحديث الشعر بين القديم والجديد

بقلم: عبد المعطي المري

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

والعراق شعراء في السودان
« التيجاني يوسف بشر » وفي تونس
« أبو القاسم الشابي » و « أبو
شبكة » في لبنان .

ثم كانت معركة فلسطين التي
فتحت الأذهان العربية ، وصدمتنا
بالواقع ، وكشفت عن حقيقة موقفنا،
كما كشفت عن أغراض ومطامع
الاستعمار والصهيونية .. ثم قامت
ثورة ٢٣ يوليو التي هدت — بعد
طرد الاستعمار وصنائه — إلى
إرساء قواعد القومية العربية ،
فوقف معها الشعر العربي بمسئوليته
معبرا عن يقظة الشعوب العربية
وأمرائها ، على الكفاح .. وفي
ميدان الصراع كانت تتلاقى صيحات
الشعراء بطلقات البنادق .. وكانت
تخلل هذه الصيحات أصوات تعبر

محران وشوقي ، وحافظ ، ومحم
وبعد ذلك جاء الصراع بين هؤلاء
ومدارسهم الأدبية من جهة ، وبين
التيارات الجديدة التي كان يمثلها
في مصر أصحاب « الديوان » شكري
والمازني والعقاد ... وفي المهجر
ميخائيل نعيمة ، وإيليا أبو ماضي
والمطوف ونسيب عريضة وغيرهم ،
ومن ثم انبثقت جماعة « أبولو » التي
اهتمت بالصياغة الجديدة وجددت في
الشكل والمضمون ، وبعثت فن الإحياء
الرمزي في الشعر العربي .

وبعد الحرب العالمية الثانية ازداد
إدراك الشعراء العرب بمسئوليته
أزاء أمتهم فعبروا عن الواقع الذي
يضطرب فيه المجتمع ، ووقفوا بجانب
شعوبهم في كفاحها الوطني .. فكان
إلى جانب شعراء مصر وسوريا

الحديث عن مراحل التطور في
أدبنا المعاصر يتطلب الرجوع خطوة
إلى الماضي حيث عصر البارودي ،
فقد أحدث البارودي حركة انبعاث
للشعر العربي فاستطاع أن يمد
يده عبر القرون التي انتكس فيها
الأدب العربي وأن يصاحف المتنبي وأبا
العلاء ، وبذلك أعاد للشعر العربي
أمجاده ، ومن ثم كان البارودي
أرحاسا للذين تقدموا بالشعر خطوة
إلى الإمام ، فكان الشعر القصصي
الذي يده (شاعر القطرين)
والمسرحية الشعرية ورائدها (أمير
الشعراء) . كما كان الشعر الوطني
الذي برز فيه (شاعر النيل) والملمة
العربية التي تهرس بها (شاعر
العروبة) وهكذا كانت القاب شعرائنا
الإرعبة الكبار :

عن تجربة جديدة في الشكل والمضمون رفع لواءها جماعة من الشعراء من بينهم : السياب ونزارك الملائكة ، والبياتي وحجازي ، وصلاح عبد الصبور .

الفن القصصي :

وفي ميدان القصة بدأ عصر نهضتها بالتفتح على ايدي اللبانيين في مصر والمهجر فكانت الرواية ، والرواية القارضة بوجه خاص . ومن ثم انتقلنا من المقالات الى الفن الروائي ونهض المصريون بدورهم في هذا الميدان فكان حديث عيسى ابن هشام للويليحي و « ليالي سطوح » لحافظ ابراهيم .

ثم وثبت الرواية وثبة رائعة في مرحلة اوفر نضجا فكتب هيكل رواية زينب ، وكسب توفيق الحكيم عودة الروح ، وكانت الروايتان ايدانسا بمستقبل مجيد نحو العمل الكبير : « ثلاثية بين القصصين » لنجيب محفوظ .

وفي القصة القصيرة بدأت كتابات محمد تيمور الى ان كانت الاربعينات فنضجت القصة على ايدي طاهر لاشين ومحمود تيمور ويحيى حتى .. وكانت خطوة اخرى فظهر كتاب كثيرون في مختلف البلاد العربية جعلوا يعالجون محاولة اخذ الشكل من الغرب والمضمون من مجتمعهم الى ان كان عصر الواقعية يزهت القصة العربية الانتظار وتطلع المجهنون بالادب في الشرق والغرب اليها ونظفوا الكثر منها الى مختلف اللغات . وقد سارت حركة القصة القصيرة بسنويات مقاربه في جميع البلاد العربية خاصة في لبنان ، ومصر وسوريا .

واخيرا تم للقصة العربية اخذ مكانها بين فنون الادب حيث فرضت ذاتها على الصحف والمجلات ودور النشر والاداعات .

في النقد الادبي

وفي الربع الثاني من هذا القرن دارت معارك ادبيه بين كبار الكتاب

كان لها اعق الاثر في توجيه ادبنا المعاصر وفي ارساء قواعد النهضة الادبية الحديثة .

ففي نقد الشعر كانت دعوة التجديد التي قام بمعالجتها شكري والمزني والعقاد قد بلغت غايتها، ووضحت اهدافها ، واضحي لطابعها شعاراته : وحدة الموضوع — النأي بالشعر عن الاغراض التقليدية خالجه والهجاء وما الى ذلك مما يجده القاري مفصلا في كتاباتهم وخاصة في كتاب « الديوان » وفي بعض فصول كتاب « الغريمال » ليجائيل نعيمة ، وحديث الاربعةاء للكشور طه حسين .

وفي النثر دارت مناوشات كان لها طابع العنف بين الكثيرين من الكتاب بين العقاد والمزني وبين طه حسين .. وبين ثلاثتهم من ناحية والرافعي من ناحية اخرى .. ثم قامت بضغ معارك خفيفة بين طه حسين وهيكل ، وبين طه وتوفيق الحكيم ، وبين طه واحد ابي .

وقد وضعت الكتب التي سجلت ما دار في هذه المعارك كالف الرافعي كاتين : « على السبيل » تتناول فيه العقاد وشعره ، وحسن الكتاب الاخر بطه حسين وعنوانه : « تحت راية القرآن » وكذلك فعل طه حسين في بعض كتبه حديث الاربعةاء ، وحديث الشعر والنثر .. ثم حصاد التوسيم للمزني فغية الفصول الطوال في نقد طه حسين .

ومن ابع المحاولات الادبية ما دار بين طه حسين والعقاد حول الادب اللاتيني والادب السكسوني ، وما كان بينهما بعد ذلك من ابي العلماء .

معركة بين الشيوخ والشباب

وفي الاربعينات ، دارت معركة بين الشيوخ والشباب وايضا وضع بين طه حسين والعقاد من جانب ، وبين ابراهيم ناجي الذي كان في مقدمة شعراء الشباب وابراهيم المصري — في النثر — من جانب اخر . كان الشيوخ : طه والعقاد

والمزني وهيكل وحدهم ينتجون ثم ينفذون : فلما يقض للشباب — في ذلك الحين — ان يتميزوا ببلابع ، واضحت لهم شخصية ودارس ففي النثر كان فريق منهم يعالج كتابة القصة والدراسة الادبية ، وكان في مقدمة هذا الفريق ابراهيم المصري ، وفي الشعر كانت طائفة اخرى على راسها ابراهيم ناجي . وتلفت الشيوخ نحو وثبة الشباب التي تتلهم الطريق لتأخذ وضعا ومكانا في عالم الادب .. فكان ان عقدت هدنة مؤقتة بين الشيوخ .. وعهدوا الى الشباب ، فكانت معركة يئمل الشيوخ فيها لعقاد وطه حسين وينافح ويتحدث باسم الشباب — ويتلقى ايضا الضربات — الابراهيميان : ناجي والمصري . ودارت رعى المعركة ، وانتصر الشيوخ بعد بضغ جولات اذ لم تكن قد تبلورت بعد اهداف الادباء الجدد ومن ثم اكتفى الشيوخ بنوع واحد من السلاح كفل لهم النصر وهو سلاح اللغة والاطء الفوقية ورفح الابراهيميان راية التسليم فانزوى ابراهيم المصري ، واعلن ابراهيم ناجي وداعه لدنيا الادب !

المعركة .. تتجدد

وفي الستينات تجددت المعركة بين الشيخين — والطرفين انهم انفسهم شيخوخ الامس طه والعقاد وبين الشباب الذين يمثلهم في النثر كتاب الرواية والقصة من الذين يظللهم لواء الواقعية ، وبابديهم سلاحهم الذي : الادب للحياة .. والذين يمثلهم في الشعر شبابتا المجددون . وقد طال امد هذه المعركة بعض الشيء الا انها انتهت من ناحية النثر بمباركة طه حسين لجهود الشباب وثباته عليهم ثم السير على راس موكبهم نحو ما ينشدون من اغراض . وما في الشعر فقد استمر العقاد ككافح حركة التجديد ، ومن ورائه كوكبة من الشعراء التقليديين ...

تنتظر من يعنى بدراسة تطورها
وتسجيلها في كتاب يؤرخ لهذه النهضة
ويعرف شباب هذا الجيل بها يموت .
كثرهم من تبرس الكتاب والشعراء
طوال عشرات السنين في سبيل
تهديد الطريق وأرساء التواعد حتى
اضحت صورتنا الادبية على النحو
المشرف الذي تراها عليه اليوم .

عبد المعطي المسري
الجلس الاعلى للفنون والاداب
الزمالك — القاهرة — ج ٢٠٠٤

من كثرات

البلاغة :

البلاغة التقرب من البعيد ،
والتباعد من الكلفة ، والدالة بقليل
على كثير .

اعرابي

غفلنا ولم يغفل الدهر عنا ، فلم
نعتبط بغيرنا حتى وعظ غيرنا بنا ، فقد
ادركت السعادة من تنبه ، وادركت
الشقاوة من غفل ، وكفى بالتجربة
واعظا .

اعرابي

قال الاخنف : — لا خير في صديق
لا وفاء له ، ولا خير في منظر لا مخبر
له ، ولا خير في فقه لا ورع معه .

الاشرار يتبعون مساوى الناس ،
ويتزكون محاسنهم ، كما يتبجح
الذباب الموضع الفاسدة من
الجسد ، ويتزك الصحيح .

افلاطون

ان الله اذا احب عبدا حبه الى
خلقه ، فاعتبر منزلك من الله
بمنزلك من الناس ، واعلم ان ما لك
عند الله مثل ما لله عندك .

عمر بن الخطاب

ان يعلن ان القصة العربية ليست
بذات موضوع ؟ لقد غدت القصة
العربية في مقدمة فنون الادب فكيف
جاز للبعض ان ينكرها ويحاول خلق
معركة وهيبة حول « ازمة القصة »
.. كان الاولى بهذا البعض ان يتحدث
عن ازمته الحقيقية فيعالج مثلا
ازمة النشر بالنسبة لكتاب القصة
وخاصة ادباء الشباب ثم ازمة
النقد !

لقد كان من حق القصة العربية
ان يتناولها النقاد ، ولكن بالمفهوم
الصحيح للنقد ، اعني النقد البناء
الذي ينشد التوجيه والتطوير ويثري
المكتبة العربية بمعايير نقدية تستحق
ان تأخذ مكانا بجانب الانتاج الجيد
الذي قدمه كتاب القصة .

معركة بين النقاد

واخيرا دارت معركة بين فريقين
من النقاد تزعم جماعة منهم الدكتور
رشاد رشدي وتزعم الفريق الآخر
المرحوم الدكتور محمد مندور ، ومن
خلال اختلافاتها حول مذاهب النقد
نشأت معركة كاشية عن القناعة
وذور الصحافة في نشرها .. فريق
على راسه موسى صبري رأى
ان الصحافة وقراءها لا تقوى ولا
يتقون على فهم الموضوعات
الادبية الدسمة الجادة ! ولست
ادري كيف جاز له ان يقول هذا على
حين يعلم وتعلم جميعا معه ان
صحافتنا منذ ثلاثين عاما كانت تنشر
الفصول الطوال ، وتخصص
الصفحات للنقاة والادب وتجد وفرة
من القراء فهل نحن نتقدم الى امام
ام نتأخر الى خلف الخلف ! والفريق
الآخر — جماعة الدكتور مندور —
رأى العكس ، وقد تبني هذا الرأي
ايضا الدكتور طه حسين ... وظلت
المعركة ناشية فترة طويلة بل انها
كادت تطفئ على المعركة الاصلية ،
معركة النقد والنقاد ...

ويعد فهذه اشارات عابرة لمعالم
الطريق في نهضة الادب المصري
الحديث .. وهذه اللحاحات الخاطفة

ولكن الشعر الجديد — ومعني الجيد
بنه — سيرة وتمسح له الصحف
والمجلات والاذاعة صدرها لتحقيق
وجوده .

ثم دار الكلام طويلا حول القصة
العربية ، فبعضهم يرى ان القصة
القصيرة ليست بذات شأن ولا خطر ،
وانها تنعثر في خلواتها .. وهذا
اسراف في المغالا ومجاناة الحقائق
فالقصة العربية بلغت شأوا يستحق
التقدير فقد اضحت ذات موضوع له
سماته وطابعه ، فهي ليست مزعومة
كما يزعم البعض .. وقد اعترف
بها في دوائر الادب في اكثر بلدان
الخارج ، فدور النشر والجامعات
والجهات المعنية بالادب تهتم بقصتنا
القصيرة فنقلها الى مختلف اللغات .

لقد بذلت محاولات بالامس انتهت
الى وشيات تستحق الاشادة والتقدير ،
واعنى بذلك الجهود الحسنية التي
تبرس بها الرواد الاول لهذا الفن :
المزائي والحكيم ، ومحمود تيمور
ويحيى حقي وطاهر الاشقين ، ثم
محمود البدوي والسحار وغراب
وعبد الحليم عبدالله ويوسف ادريس
وعبد الرحمن الشراوي والخيبي
وسعيد عبده ، ثم كتاب الصف الثاني
الذين حلوا لواء الواقعية الجديد
وهم من الشباب : الشاروني وعبد
الرحمن فهمي ومحمد صدقي وصالح
مرسي وفاروق منيب وعبدالله الطوخي
وجاذبية صدقي وصوفي عبدالله
ويطول بنا الحديث لو مضينا في سرد
الاسماء .

ولا بد من الإشارة ايضا الى تلك
الدور التي قامت وتقوم بدور كبير
في نشر انتاجنا القصصي وتشجيعه
كنادي القصة وكتب للجميع ، والكتابين
الذهبي والفضي ، وكذلك لا تغفل ما
قامت به كتب الجيب التي كان يمددها
محمود البدوي و « لجنه النشر
للجامعيين » التي كان يدفعها عبد
الحليم جوده السحار .

تكفي تنكر كل هذه الجهود ويحاول
البعض — بجرة قلم وبلا مبالاة —



شم
عبر لهر لمر مرس

يا شعب

قالوا : فلان صار شبيئا واستجد له أمور
وإذا تحدث بين قوم لا يموء ولا يخور
فأجبتهم : يا للذكاء الجم والعلم الفزير !
حتى ابن « شترية » تقدم للزعامة والسريـر

لف العبادة وأنبرى يختال بين السادرين
يختال في عبث الزمان وبين أيدي الغافلين
ونسى زمانا كان فيه لعبة للاعبين
الناس تعلم من يكون ومن يكون الهازلين

يا « كاتبا » بز الزمان ويا « خطيبا » في المحافل
يا صاحب الصوت المجلجل بين مخدوع وجاهل
الشعب يعرف من يلقنك البذاءة والمهازل
والوحي لا يخفى على شعب طعنت له مقاتل

لف العمامة واستدار الى الجموع
يدعو الى الدين الحنيف ويستبد به الخشوع
لكنما تحت العمامة ما يثير وما يريـع
نَزَّهْتُ ديني ان يكون لكل سابعة قلعوع

خلّ الطريق أما سمعت لنا هزيم
قد جاء جيل سوف يقتلع القديم
والشعب صار بكل خائنة عليم
فارقب شمعا الشمس من خلل الفيوم

يا شعب تاه الدرب وانحرف الطريق
وتخلف الاحرار وانقطع السبيل على الرفيق
وتباعد الخل الوفي وانكر الود الشقيق
يا أمتي تأبى الشهامة ان تذل وان نطيق

أنوابنا فضاضة هل نحن اقوام كبار
عبث بنا حتى الخنافس وامتد بنا الصّفار
تنثفو النشايه وفي الطريق الليث يفضيه الأسار
لا رايه رفعت ولا صوت ينادي للبدار

هنا فقامت حولنا زمر الثعالب
والعشب لم يرض النشايه وقد تراخمت المناكب
وتحولت بالناب تفرينا القداة فلا نقالب
سبحان ربي أنبت الانياب فيها والمخالب

نمنا وما أمست تتركنا الرزايا
القرد نعبده ونسجد للبقايا
ملت مراقدنا الوسائد والحشايا
ثار الجماد فهل تثور بنا بقايا

أبصرته فوق الاريكة قد تجلبت بالملابس
حملته القاب النفاق فصار قطبا في المجالس
جم التكبر في الجماعة غائر العينين عابس
يبدو اذا عريته جذعا من الاخشاب يابس



<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

خبر الذهب

قصة بقم : عصا حماد

جان شاميت .. زبال باريس ، يحصل معاشه من تنظيف الحي الذي يسكنه ، وتكنيس حوانيت اصحاب الحرف والصناع اليدويين فيه .
اما منزله .. فعشة مظلمة كئيبة ، غارقة في تلك الضاحية من ضواحي مدينة النور ، بين مئات امثالها من اكواخ السكرية والاسكانية وقاطني القنيط ... والشحاذين .

ولقد ظل هذا الحي الباريسي البائس ، مثل معظم احياء بلادنا الشعبية وبعض قرانا ومخيماتها ،

((قصة جيلة ، لا ادري كيف سمعت بها يوما في اوروبا ، فاسترعت قسطا من اهتمامي ، وسجلت في وفكرتي خلاصة لها ، لاني رايتها نموذجية حقاً للادب والاديب في مرحلة التكوين ، او لما يجدر ان يكون عليه الادب والاديب في مرحلة التكوين .))

بمناى عن ان تجوس خلالها الاقدام ، اللهم الا اقدام رجال المباحث .. والباحثين عن الاشياء المرسوقة . كان شاميت يعرف لدى جيرانه هؤلاء « بابي منجل » ولعلمهم اطلقوا عليه اسم هذا الطائر الغريب لهازله المفرط وشكل وجهه الذي يشبهه الابريق وغرة الشعر التي تطل من تحت تبعته ، كانها عرف السديك .

ولقد قضى جان شاميت اياما اسعد من ايامه هذه ، حين كان جنديا في جيش نابليون الصغير خلال الحرب المكسيكية . ولعل من حسن حظه ان وتمصر صريح الحمى المكسيكية ، فسرّح من الجيش وامر بالعودة الى موطنه الفرنسي ، دون ان يتاح له الاشتراك في قتال . واستمتع الضابط المسئول عن كتيبته ، غرصة سفر مرقوسة ، فبعث معه بابنته سوزان البالغة من العمر ثمانى سنوات لتلتحق باحت له تعيش في مدينة (روان) الفرنسية ، وذلك بعد ان اكتشف ان جو المكسيك جد مؤذ للأطفال الاوروبيين ، بالإضافة الى ان حرب العصابات مشحونة باخطار لا يعلم مداها الا الله . ولولا ان الضابط المذكور كان قد تزل منذ امد ، ولم يجد ثمة من يعهد اليه بابنته بعد وفاة امها ، لما اقم منذ البداية على مصاحبتها الى المكسيك .

ما ان بدأت السفينة تخر غباب الاطلسي ، حتى اشتدت حرارة القطر وارتببت على محبها سوزان الصغيرة علائم الحزن الدائم والمضيق الشديد ، حتى ان الاسماك ذات الاشكال والالوان المختلفة ، التي ما تغشا تقف من بين الامواه المتهاوجة جنبا وبها ، لم تستطع ان تغتصب بسمة واحدة من بين شغبتها الرقيقتين . والحق ان شاميت لم يكن ليذكر وسعها في احاطتها بسايغ عنايته ورعايته .. غير انها — كما بدا له — كانت في حاجة الى شيء اكبر واكثر من الرعاية ، ربما هو المشاركة العاطفية . ولكن .. اية مشاركة عاطفية يبدؤها جندي سابق في احدى كتائب المستعمرات لفتاة صغيرة من مثله ؟ كيف يتسنى له ان يسري عنها ويسيلها ؟ اتراه يلعب معها « الاستغماية » . ام يغني لها اغنية من أغاني الجنود الفطة ؟ .

ثم كان لا بد للجليد اخيرا من ان ينحطم . تعددت مفاجأة شاميت لسوزان وهي ترمقه بنظرها المرتبكة . واستجمع اطراف شجاعته ، ولفظ يسرد على مسامعها استناتا من قصة حياته ، مستذكرا ادق دقائقها وتفاصيلها : قرية الصيادين التي قضى فيها طفولته وردحها من شياخ على شاطئ القنال ، الرمال الزاحفة هنا وهناك . برك الماء التي يصنعها المد والجزر في الليالي القمراء ، الكنيسة القروية الصغيرة بناتوسها المكسور ، امه الوديعه وهي ترتب لهيب

الموقد ساعبات طويلا في بيت الجيران . ذكريات شخصية لم تكن في ظنه لنبت في نفس سوزان اثارة من تسلية او نزرا من بهجة ، غير ان الفتاة — وبيا لمعجه — كانت تتعلق بكل كلمة تند من بين شفثيه ، بل وتتأسده احيانا اعادة سرد اقاصيصه ، لا يفسادر منها شاردة ولا واردة .

فلا عجب ان ان نرى شاميت وهو في غمرة ركضه وراء احداث حياته وتقصيه دقائقها وتفاصيلها يبالغ في شحذ ذاكرته وارهاتها ، حتى لم يعد قادرا على التمييز فيها بربوه بين الفث والسمين ، والصحيح وغير الصحيح .

لم تكن لهذا ذكريات حقيقية ، وانها هي ظلال باهتة من ذوب الذاكرة . تنهافت تحت شمس الحقيقة كاسداف الضباب .

ولا غرو ، فان شاميت لم يتعود الحفر في تربة ماضيه البليد المكسود ... الماضي الذي دفن بين طوايا تلك التربة منذ امد بعيد بعيد ..

وذاث يوم ، وشاميت يلهث وراء الشوارد من ذكرياته الباهتة ، ومضت في ذهنه الخابل صورة الزنبقة الذهبية .

وهو لا يدري في الحق ، اكانت الصورة لزهره راحا منحوتة نحسا ساذجا ، ومعلقة فوق الايقونة في منزل صياد عجوز . كان يسكن بجوارهم في القرية ، او انها مجرد قصة خيالية سمعها في غابر الزمان من امه ..

غير انه يدري على اية حال ، ان امه كانت ما تقصيه لفردي على مسامعه ، ان الزنابق الذهبية نادرة الوجود في هذا العالم ، كالحب الحقيقي ، ولعل اسعد امرأة على ظهر البسيطة ، هي تلك التي يقدم لها حبيبها عذبة من هذا القليل . فالحائز على هذه الزهرة ، مثله مثل الحائز على الحب الحقيقي ، يملك اسباب السعادة الدائمة . ان كل من يلمسها او يراها في وسعه ايضا ان يطمئن الى سعادته ..

كان شاميت يقص ذات مرة على سوزان قصة الزنبقة الذهبية ، وهو منهك في تسريح شاعرها المشعث بمشقة المعنى على ظهر السفينة . حين بادرته الفتاة مسائلة : —

— اظن يا جان ان احدا قد يقدم لي في يوم من الايام زنبقة ذهبية ؟

— وما يدريك يا سوزي ، فلفل طيرا غريبا يحط عليك ذات يوم فيهديك واحده . لقد كان منيا في الكتيبة جندي بمقدم في السن ، انتزع مرة بعض اسنان الذهب من افواه اصحابها في ميدان المعركة . ثم ما لبث بعدها ان انتزع كل الحظ السعيد في العالم . اذ ا قصة طويلة ياسوزان . ساروبها لك في المساء ..

لقد كان في جعبة شاميت عشرات من أمثال هذه الإقاصيص التي طالما استمع إليها من أفواه زملائه الجنود . ومع ذلك فهو لا يروي لسوزان شسينا من هذه الإقاصيص . ذلك أنه لا يقصد هنا رواية القصص ، وإنما هو يستولد اثسنتان من ذكريات . وهو لا ينفعل هذا لراذع عن رواية الاختلافات . وإنما لأنه لا يستشعر حاجة به لمثلها . أما الآن ، وفي سبيل التسمية عن سوزان . فهو قمين بأن يفعل أي شيء . . . وكل شيء . .

●●

وفي روان . . أودع شاميت سوزان بيت عمتها . لقد كانت امرأة طويلة طولاً مفرطاً ، ومقدمة في السن ، وذات غم مزوم الشفتين وأسنان صفراء ، وترتدي ثوباً مرقطاً بخطوط سوداء . فنبذوا وكانها ألقى سامة تتلوى في شرك . وما أن وقعت عليها عينا سوزان حتى تراجعت متشبثة بذيول معطف شاميت الثقيل .

وهبس شاميت في أذنها ، وهو يدفنها . . نحو عمتها . —

— لا تخافي يا فتاتي . . هل تظنين أننا نحن الذين نختار قوادنا في الجيش ؟ لتصبري يا سوزي . فليست سوى عسكرية صغيرة . وبنت عسكري . . .

وغادر شاميت المكان . وابتمد روبدا روبدا ، وهو ما يفتأ ينفلت على الدوام إلى نوافذ البيت الكبير الذي يستعیش فيه سوزان غم عمتها ذات الثوب الأزرق والغم المزوم . ثم ما لبث أن مضى يشق طريقه خلال الشوارع المزدحمة . وهو ينصت إلى دقات الساعات على أبواب الحوانيت الصغيرة ، بينما يقع في جرابه الجلدي ذلك الشريط الأزرق المجدد الذي كانت سوزي تزين به شعرها الناعم . ولقد كانت تفوح منه رائحة ذكية . وكأنه كان مخزوناً ردها طويلاً من الزين في سلة من البنفسج .

●●

انقضت على شاميت سنوات وستوات ، وهو في كساح رتيب دائب ضد الفقر والجوع ، جرب يديه في عدد من المهن المختلفة . ثم ما لبث أن بات في العمل كزبال في أحد أحياء باريس . كانت راحة المجاري الكريمة والنفائات العفنة تلاحقه كظل أين ذهب ، حتى أنها لنصل إلى أنه مع الانسام العليلية التي تهب من السنين ، وحتى أنه ليشفها أيضاً في باتات الأزهر الرطيلة الفضة التي تبيعها بعض النسوة المهنديات في الشوارع النخسة .

كانت الأيام تتلاشى من بين يديه بلا معنى ولا فائدة . لا يؤنس وحشها سوى منظر وردي شاذ يبدى لعينيه الذبايتين بين الفينة والفينة من خلال العتبة الأثرية ، وكأنه اطلالة الربيع الموق ، إلا وهو

خيال سوزان بنفورها الممزقة ، التي كانت كثيرية شعرها تظهر وكأنها كانت تقبص طويلاً هي الأخرى في سلة من سلال البنفسج .

تري . . . أين أنت الآن يا سوزي ؟ وماذا فعلت بك الليالي والأيام ؟ كل ما كان شاميت يعمره عن سوزان أن أياها توفي متأثراً بجراح أصيب بها في المكسيك ، وإنما هي . . لا بد قد فتحت كازمهرة الياقعة ، وأصبحت دون رب صبية فتاة .

ولطالما مئى نفسه بالتوجه يوماً إلى روان لكي يزورها . ولقد كان يحدد الموعد بالفعل ، ثم لا يلبث أن يؤجل الرحلة لسبب من الأسباب ، حتى عاد يشعر بأن الوقت قد فات ، وأن سوزان لا بد قد نسيت كل ما نسيته إليه بصلة . ولشده ما كان يصب اللعنت على نفسه ، لذلك الجفاف الذي بدر منه ساعاتها رقتها . ويحك يا شاميت . . لم لم تطيع قبلة على شعرها بدلان أن تروح تدفعها مثل «دب تشيخوف» إلى احضان تلك العمة . . بل تلك الحبة الرطباء الدرديس ؟ . ثم ما يلبث أن يتوهم إلى رشده ، ويرق صوته ، فيخاطب طيفها قائلاً : « تجلي بالصبر يا سوزي ، فانت عسكرية صغيرة ، وابنة عسكري » .

●●

والزبائون في باريس ، كاثالهم في كل مكان ، يزاولون مجلم اليوم ، أثناء الليل . وشاميت يفضل العمل في الساعات الأخيرة منه ، أو في بواكير ساعات الصباح ، حيث يستغرقه الجمال المنقشي فيها ، حين تفسن طلائع الفجر أول هجوم لها في غزو المدينة العظيمة ، وتشر غلول الضباب الصباحية أذيالها ، منسحبة إلى مواقعها فوق أبواه السين .

كان شاميت ، في إحدى ساعات الفجر المكسّن بالضباب ، يشق طريقه عبر شارع الإنفالد ، حين وقع بصره على صببة في ثوب أزرق باهت ، تكىء حزينة على حاجز السين ، وتند بصرها الزائف إلى مياه النهر الداكنة . . وكأنها تسألها عن المصير .

ورفع شاميت قبعته الغبراء يحجبها وخاطبها قائلاً : « ان السين شديد البرودة على السابحين في هذه الساعة بالاسة . فملكك تسحين لي بأن أسير في ركباك حتى منزلك . »

فردت الفتاة عليه بسرعة « لم يعد لي ثمة منزل » . وحين استدارت إلى ناحية شاميت وقعت قبعته من بين يديه ، وصرخ صرخة تجمع ما بين الغبطة والفرح : « سوزي . . يا فتاتي العسكرية . . يا بنيتي الصغيرة . لقد . . . لقد التقينا أخيراً . واطلك لم تنسيني بعد . أولمك نسيت . أنا . . أنا جان . . جان . . انست شاميت ، الجندي السابق في الكتيبة السابعة

وما أسرع ما وصلت العربة التي تقل الممثل لآخذ سوزان ... وكانت المسالحة مقرونة كالعتاد ببساطة الزهر الموهودة ، ثم القبل ، والضحكات ، والدموع ، والنوبة ، ونزوات من الطيش .

وكانت سوزان في حالة من الاضطراب ، حتى لقد تقزت الى العربة ، دون ان تمنح شاميت كلمة وداع . ولكنها ما لبثت ان استدرت خطاها في اللحظة الاخيرة فاحمر وجهها ، ثم مدت اليه يدا مرتعشة من اثر الشعور بالذنب .

وهنا تتم شاميت بصوت خافت : « ما دامت هذه هي الحياة التي تروك .. نكل ما بيدي .. هو ان اتنى لك السعادة » .

فترقت الدموع في عيني سوزان واجابت : « لست اعرف في الحق شيئا عن الحياة » . وهنا قال الممثل في شيء من الغضب وكثير من الغرور : « ما من شيء يستحق انتشال بالكل يا حبيبتى » .

ولكن سوزان اردفت في تهدة : « يا ليت ... يا ليت احدا يقدم لي زنبقة ذهبية .. قرنية حظ كفيلة بان تضمن لي السعادة .. ايه .. يا عزيزي جان .. اني ما زلت اذكر القصة التي حكيتها لي يوما على ظهر السفينة .. »

وبادراها شاميت بقوله : « من يدري ، ربما يتدبها كل طائر غروب . ولكنه لن يكون على اية حال ، هذا الطاووس اللدال .. الذي تحببته . فعوا على هذا الكبير .. فانا نجدني .. وكل ما في الامر ان الطاووس المجلجلة .. لا يروقني .. »

وتبادل الشبان النظرات ، وهز الممثل الدلال كتفيه بازدرأ .. ورشاقة .. ثم ما لبثت العربة ان اقلعت بالراكبين .

واصل شاميت عمله كالعتاد .. راح يجمع التنايات اثناء الملحاضات انشرف النهار من الجوانيت .. غير انه بعد ان انقضى بسوزان اطلع عن تقريره فضلات الصباغ والجواهرية مع غيرها في برميل التنايات ، وصار يفرغها سرا في كيس خاص ، يأخذ معه الى البيت كل ليلة . واصبح الجيران يظنون في عقله الخنونة ، اذ لم يدري في خلد احدهم ان هذه الفضلات انما تحتوي على قدر مهم من فضول من غبار الذهب المتطاير الى الارض من مبادر الصباغ .

وكانت خطة شاميت السرية ان يغربل القبار المتجمع ، لعله يحصل مع مضي الزمن على قدر ضئيل من الذهب ، يمكنه صياغته على شكل زنبقة ذهبية ، يقدمها لسوزان لتضمن لها السعادة . ومن يدري .. ربما جلبت الزنبقة فيضاً من السعادة ايضا .. كرويا اعتادت اياه ان تقول ، الى كثيرين آخرين من الفلاسفة ..

والعشرين من فرقة المستعمرات .. الرجل الذي اتى بك الى تلك التهرمات الشبهاء في روان . لكم اصبحت حولة يا سوزي . ها هو ذا اخيرا تسرك الجبيل الذي لم اتقن يوما تريحه . »

وصاحت سوزي وهي تحيط بساعديها عنق الزبال ، بينما تشرق بدموعها : « جان .. جان ايها الشيخ الطيب .. كيف لا اذكرك .. انك ما تزال كعمدك على الدوام لطيفا يا جان . »

فتنهت شاميت وتتم : « لطيف ... هراء . الا تقولي لي ماذا جرى لك يا صغيرتي ؟ »

ثم ضحكا اليه ، وفعل ما تردد مرة عن فعله في روان ، اذ امس اصابعه في طوايا شعرها ، وراح يقبله بنهم وشوق . الا انه سرعان ما تراجع ، مخافة ان تصل رائحة الملعط الى خياشيم سوزان .. بينما ظلت هي رغم ذلك متشبثة بكتفه ..

واعاد شاميت سؤالها : « ما الذي .. ما الذي حدث لك يا بنية ؟ » الا ان سوزان ، وقد عجزت عن كبح نشيجها ، لم تحرج جوابا ، فابقن شاميت ان اسئلته في غير محلها ، واردف في الحال : « لدي مأوى عند السيد القديم ، على مقربة من هنسا . ليس هبة مع الاسف طعم . ولكن في وسعك على الاقل ان تسخن بعض الماء وتغتسل ثم تنامي .. وبهكتك طبعاً ان تبكي ما طاب لك المكوث » .

●●●
قضت سوزان في مسكن شاميت خمسة ايام ، لعل الشمس لم تسطع يوما في نظر شاميت على باريس باروع مما سطعت خلالها . كانت البيوت جميعا ، حتى اشدها كآبة وبشاعة ، والحداثق .. والشوارع ، وحتى عشته نفسها .. تنالاً بالاشعة كاعلى الجواهر ..

ولعل المرء الذي لم يحس مرة ببنضه يتسارع على ايقاع التنفس العميق الصادر عن فتاة جميلة وهي تغط في سباتها ، غير متبين مطلقا بتفهم معنى الرقة والحلاوة والحنان .

لقد كانت شفتاها في احمرار رقائق الورود المخضلة ، بينما جفونها تلعب من اثر قطرات الدموع التي سفلحتها في بهمة الليل .

ولقد حدس شاميت بالذي حدث لسوزان . كان حبيبها ، المثل الشاف قد خانتها ..

الا ان الامر لم يستغرق اكثر من تلك الايام الخمسة لاتمام المصالحة بينهما ... ولم تكن المباه لتعود الى مجاريها لا ولا يد العون التي مدها شاميت .. اذ اخذ رسالة سوزان لحبيبها المثل المهاجر ، والتي عليه درسا في حسن المعاملة ، حين تجرأ هذا محاولا ان يدس بعض الفلوس في يده .



غبار الذهب

والمساكين .

وولد شاميت العزم على اية حال على الا يسمى
لرؤية سوزان ، حتى يتم له صنع الزنبقة الموعودة .
وابقى الامر سرا بينه وبين نفسه ، خفية ان
يشرب الخبز الى مسابيح الشرطة فيثير الرب
والشكوك ، وقد يجرب بعدها الى القسم منها بالسرقة
فيخرج به في السجن ، ويصادر غباره الثمين .
وكان شاميت قبل التحاقه بالجيش قد اشتغل
ردحا من الزمن حصادا في قريته ، مما اعانه الان على
الفتيام بعمله . فرائضه يصنع مذراة ذات مروحة
صغيرة ، ويذهبك ليله في تخيل الغبار الوارد من
جوانيت المسياغ والجواهرية ، وشلوعه تخلق بالفرحة
كلما لاحت لمعينيه بعض الذرات اللامعة في قعر
الصفيحة الخاصة .

اتى على شاميت حين طويل من الدهر ، قبل
ان يتجمع له قدر من ذرور الذهب يكفي لصنع السبيكة
الصغيرة المطلوبة .
وحين سارت السبيكة اخيرا بين يديه ، تردد

باديء ذي بدء في تسليمها الى صائغ يصوغها في زنبقة
ذهبية ، لا عن عجز في دفع اجر الصائغ ، فكل صائغ
يقنع بجزء من السبيكة لقاء جهده ، وانما .. وانما
تهيبا من لقاء سوزي الذي طالما انتظره .. ذلك
ان قلبه الان مغمم بانها اجس . وكل ما كان مختزنا فيه
من الحنان احتفظ به لسوزي ..

ولكن من ذا الذي يرغب في حنان « فزاعة »
حمرمة ... « خيال قتاة » ملته يتحامل على ساتين
مهيضتين خرتين من اثر الرومانزم ؟

لطالما لحظ شاميت معظم الناس يتجنبونه . ولا
غرو فان منظر وجهه الهضيم الاغبر بجلده المتهدل
وعينيه المنفختين ، خليق بكل وصف .. سوى
الجاذبية التي من شاتها ان تقرسه الى الناس ، او
تقرب الناس اليه .

ولقد كان في عشمته شظية من مرآة ، حدث
احيانا ان تطلع الى خلقته فيها ، ولكنه كان لا يلبث
كل مرة ان يميدها على الفور الى مكانها مرفقة بلعنة ..
كلمنات الخليفة لصورته .

وحين تم اخيرا صنع الزنبقة ، نسي الى علم
شاميت ان سوزان رحلت منذ عام الى امريكا ، عازمة
على ان تعود لباريس البتة ، ودون
ان تترك فيها لها عنوانا .

والحق ان شاميت احس للنبا اولا بشيء من
الارتباك . الا انه ما لبث ان بدأ يحس تدريجيا بخيبة
امل عظيمة .. خيبة امل كائناتل الصدى ، يخترق
حدره عن كتب من القلب .. جد قريب منه .. الى
الجد الذي يهني معه لو يغور بعيدا فيه ، وينغرز في
مسيومه ، لعله يضع حدا ابديا لخفتان ذلك القلب
المرهق المكثود .



... وانقطع شاميت عن جميع الفضلات ...
راح يقضي الايام الطوال في فراشه ، لا ينس بانها ،
موليا وجهه الى الحائط .. لا يلوي على شيء ..
ولم يكن احد من الجيران ليعيره ادنى اهتمام ..
فهم جميعا مشغولون بانفسهم عنه وعن غيره ،
للهم الا رجلا واحدا ، كان ما ينفك يقرب شاميت
على الدوام .. هو الصائغ الكهل الذي صنع من
سبيكة شاميت زنبقة ذهبية كانت على غاية من الجمال
والروعة ، وذات برعم صغير فنان ، خليق بان يعرض
في اقبح متحف من متاحف الفنون الجميلة التي تمج بها
باريس ..

كان الصائغ يزور شاميت بانتظام ، ولكنه
لم يخطيء مرة فيجب له معه دواء .. اي دواء . ذلك
انه كان واتقا من ان شفاء الزبال عزيز على كل دواء .
كان يرتقب انفاسه وهي تتسلل رويدا من جسده ،

● تحفل ندوات رابطة الادباء في الكويت - التي تعقد في مقرها مساء كل يوم ثلاثاء - بمناقشات فكرية على جانب كبير من العمق والجديّة والاصالة . نذكر منها على سبيل المثال :

— ندوة حول مشكلات الشعر العربي المعاصر ، عرض موضوعها الدكتور محمد زكي العشماوي الاستاذ في جامعة الكويت ، فوق الى ذلك الى ابعاد مدى عندها شدّ مستمعيه الى التامل في كافة معضلات الفكر المعاصر ، لا الشعر وحده فقط .

— ندوة حول مسرحية : (هكذا تكلم الحسين) للاستاذ الشاعر محمد عفيفي .. وكانت من امّتع ندوات الرابطة في موسنها الحالي ، نظرا لما تخللها من اثاره عدة موضوعات تاريخية وادبية فنية ومسرحية ، تفرض نفسها على المتأمل في محنة الحسين ابي الشهداء عبر مسرحية شعرية من نوع جديد .

— ندوة حول قضايا (المسرح الكويتي) عرضها الكاتب الصحفي الاديب : محبوب العبدالله وتطرق بها الى ما بات يواجه المسرح الكويتي عموما من عثرات ومعضلات .

كلف احد الضباط خادم منزله سنة « حديقة المنزل صباح كل يوم وفي حد الايام ، عاد الضابط الى منزله عند الظهر وسأل خادمه ان كان قد سقى الحديقة بالمعتاد . فاجاب الضامد :

لا . لم اسقها اليوم يا سيدي . فقد كانت السماء تمطر بغزارة هذا الصباح ...
فصرخ به الضابط محتدا :
ليس هذا بعذر كاف . فقد كان باستطاعتك ان تلبس المعطف الجلدّي وتسقي الحديقة كما امرتك !

حتى مضى شاميت من امام عيني الصائغ كالخيال العابر .

وعندما رفع الصائغ رأس الزبال عن الحشية المزينة الفبراء ، لينتاول الزنبقة الذهبية من تحتها ، وجددها مربوطة بشريط شعر ازرق مجعد ، له رائحة تشبه هذه المرة رائحة الفيران .

ورحل الصائغ متباطئا ، بعد اذ اغلق باب العشة وراءه في ازيز حزين .

كان يوما من ايام الخريف الاخيرة . وعتبة المساء تنّ تحت وطأة وخز الريح ، وتخلّج بين الخيوط الرغيفة من اضواء الفناديل الخافتة .

كان الصائغ قد لاحظ كيف اضفى الموت على محيا شاميت طابعا من الصفاء والسكينة والصرامة ، حتى لقد كان يصيح على قدر لا بأس به من الجلال ... ولاول مرة راح يفكر جديا في الموت والحياة . ثم ما لبثت ان اتفرت شفتاه عن جملة معادة مبتذلة :
« ان ما تمنعه الحياة يمنحه الموت . »

وما انقضت على ذلك برهة وجيزة ، حتى باع الصائغ زنبقة شاميت الذهبية الى رجل لا تظهر عليه امارات من الفنى .. الفنى الذي يمكنه من شراء زنبقة كهذه . الا انه فتن كما يظهر بالقصة التي رواها الصائغ عن اصلها .. فاشترها ..

كان كاتبها كهلا يرأس تحرير احدى الصحف . ويفضل هذا الكاتب وفصل صحيفته . اطمعنا نحن على قصة جان ارنست شاميت ، الجندي السابق في الكتبية السابعة والعشرين من كتائب المتشوّقون ، غير ان الكاتب نسي ان يضمن القصة التي نشرها هذه الكلمات التي كان من المفروض ان يضمنها ايهاا :

« كل دقيقة تمر ينسا .. كل كلمة عابرة تصل الى اذاننا .. كل لحظة تطرف بها عيوننا .. كل فكرة تطوف في اذهاننا .. كل خفقة يخلج بها القلب الانساني .. المعن المتطير من اشجار السرو .. شعاع النجوم المتساقط في امواه احدى البحيرات .. كلها ذرات دقيقة من غبار الذهب ..

وعلى توالي الايام والاعوام ، ينهمك الكاتب الحق بوجودانه وعقله الباطن في تجميع الملايين من هذه الجسيمات الصغيرة ، ويروح يخزنها بعيدا في سريره ، حتى يحين الحين فتصعب سبيكة يمكنه ان يصنع منها زنبقته الخاصة : اقصوصة او رواية او قصيدة . من هذه الجسيمات الدقيقة الثينة بالذات يتولد تيار الادب الحق .. »

مسرحية

المفتش العام



للكاتب الروسي نيقولا جوجول

تقام ذكرى جوجول

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhit.com>

دكتوراه في الادب العربي ودكتوراه في اللغويات الإنجليزية

واستاذ بجامعة الكويت

من غضب كبار رجال الدولة وموظفيها . وشاعت الاقدار ان تنطلع عليها صديقه مدام سمر نونا ، وان تعجب بها ، وتنفض الى القصر بأمرها ، فيطرب لها القصر ، ثم يأمر بعرضها على منصة المسرح الحكومي في بطرسبرج ، في التاسع عشر من ابريل عام ١٨٣٦ دون ان تتر على الرقابة ، وشهد بنفسه مع حاشيته عرضها الاول ولا غرو بعد ذلك ان يذيع صيتها ، وان يتقبلها معاصروه من النقاد بقبول حسن ، بل بالحفاوة

شرقنا العربي فقد مصرت للتمثيل المسرحي في موسم عام ١٩٦٦ على مسرح الحكيم (١) .

وقد اوحى لجوجول بفكرة المسرحية صديقه ومعاصره الشاعر بوشكين ، الذي قام بجولة في اواسط روسيا فاختطاه الناس وظنوه مفتشا عابا . وشغل الموضوع بال جوجول بين ما شغله من موضوعات اخرى ، فبدأ يكتبها عام ١٨٣٤ ، ولم ينهها الا في ديسمبر عام ١٨٣٥ ، ثم تردد فلم يقدمها للمسرح على الفور ، خوفا

لمسرحية المفتش العام مكانة مرموقة بين المسرحيات العالمية ، ومنذ الفها مؤلفها الروسي ، نقولا جوجول في العقد الرابع من القرن التاسع عشر ، حتى احلها معاصروه من النقاد المحل الاول بين ملاهي عصرها ثم دام عرضها ربحا من الزمن في مسارح روسيا ، ثم في مسارح باريس ولندن ، ثم عبرت الاطلسي الى نيويورك فعرضت في مسارحها . ومنذ فترة وجيزة حولت الى فيلم سينمائي مع بعض التعديل . اما في

وقد نجت المسرحية لما امتازت به من براعة التصوير وجمال في التعبير ، بقلم كاتب له رسالة اجتماعية معاصرة ، توأما السعي لخلق مجتمع أفضل ، بإبراز ما في الحاضر من عيوب .

وكانت هذه الفلسفة شائعة في أوروبا في عصره ، نادى بها الكتاب والفلاسفة مثل موليير في المسرح وغولتير في القصة ، واستمد جوجول مادتها من الحياة الروسية وما امتلات به من مغارات الحياة وانهاط الناس في ريفها وحضرها ، وأخذ يصورها تصويرا واقعيا إنسانيا عينا تجاوز به حدود المكان والزمان إلى النفس البشرية الخالدة والكامنة وراء الصور المحلية والمؤقتة . وذلك رسالة الأديب الموهوب في كل زمان ومكان .

أما موضوع المسرحية « أجالا » فيدور حول ظلم الحاكم للحكوم ، توقع النظام في شر عمله . وعرض الموضوع على الطريقة الكلاسيكية ، من تنظيم الأحداث في فصول ومناظر وفقا لتغيير الشخصيات والمكان والزمان ، والتزام كبير بالوحدات : وحدة العمل وتكامل الحوادث ، ووحدة المكان في البلدة ما بين الخان ومنزل الحاكم ، ووحدة الزمان حيث تستغرق الحوادث يوما واحدا . وقد ساعدت هذه العوامل على تركيز الإثر وعمقه في نفوس القنطرة وقد اتسع الموضوع الواحد (بعكس الموضوع المتعدد في المسرحية الرومانسية) على خلق التفاعل المباشر بين الشخصيات والأحداث ، فنبتت منه اللوان من التهمك المسرحي والسخرية والصراع . ويستمر اهتمام القنطرة بمسدودا منذ البداية حتى يكتشف أمر خلستاكوف — البطل — وتابعه ، ويستعرض الجمهور المشاهد الروايسية تنوع الشخصيات الأخرى التي تقع فريسة لأهوانها ، وأحلامها

بإبال والجاه والسلطان أو بالتقرب والزلفى لهؤلاء . على أن الضحك يمتزج بالندوب والمطف والرثاء ، وما أكثر الأوقات التي تقرب فيها الملهة من الماساة . وتلك سمة المسرحية الجادة ، حين تصور أهواء النفوس البشرية الدائنة .

ويبدو تأثير موليير واضحا في « المفتش العام » (وبخاصة تأثير مسرحيتي طبيب رغم انه والمريض المدعي) فمدار الحركة فيها الاحتفال والمحال حتى تدور الدوائر على البطل فينسل ما يستحق من عقاب وتتشابه طريقة العرض وأسلوب التحليل والتصوير ، على أن السدي واللجة للحوادث والشخصيات ودقاتها مختلفة ، غلدى موليير بيئة فرنسية ، ولدى جوجول بيئة روسية عاشها الكاتب منذ نعومة أظفاره في ريفها وحضرها ، وصورها في قصصه القصيرة تصويرا ينم عن تعاطف وفهم كائين ، بل دأب جوجول على السفر في أنحاء بلاده يستمع ويعرض ويستوحى تهاطل الشعب ، وتكتب في فترة تحول الأدب الأوروبي بحالة — والأدب الروسي خاصة —

الواقعي ، وتطور فن جوجول بالتدريج إلى الواقعية ، بل صار زعيم المذهب الواقعي في روسيا فيها بعد ، حين جذب بفنه انتباه الكتاب إلى روسيا وحياة الناس فيها ، وآمالهم والأهم ، وإلى تراث ينتظر من ينفذ عنه القبار ويحوطه إلى فن راق . وامتاز جوجول بما امتاز به أعلام الكتاب في روسيا ، من تعاطف روحي وعناية بتصوير أزمات النفوس ، وامتاز فنه بالسخرية من استغلال ذوي النفوذ لمن لا حول لهم ولا قوة ، وبذلك التقى مع غولتير من ناحية ، ومع المذهب الواقعي في روسيا من روسيا من ناحية أخرى ، فمهّد السبيل لظهور أعلام المذهب الواقعي من كتاب القصة والمسرحية في روسيا في القرن التاسع عشر ، فظهر في

الركب ترجنيف (١٨١٨ — ١٨٨٣) ، ومستوفيسكي (١٨٢٢ — ١٨٨١) وتولستوي (١٨٢٨ — ١٩١٠) وجوركي (١٨٦٣ — ١٩٢٧) في فترة ارتفع انشاء في أوروبا أصوات تدعو إلى العمل والحسرية ، صورها في الأدب أمثال موباسان وآناتول فرانس في فرنسا ، وشارلز ديكنز في إنجلترا ، وبارك توين في أمريكا في ذلك القرن .

- ٣ -

فأين تقع المسرحية في حياة الكاتب وفي انتاجه الفني ؟ وفي الحركة المسرحية المعاصرة ؟ أما دعوة جوجول إلى نقد المجتمع المعاصر تمهيدا لخلق مجتمع أفضل فكانت موضوع قصصه القصيرة الغزيرة ، وكان جوجول كاتباً تصميا أصلا ، عزت كتابته المسرح (٢) ولم يكن هذا شأنه وحده ، بل كان شأن الكثير من أعلام روسيا من الكتاب الماصرين له . وليس السبب بعيد ، فقد كان المسرح الروسي ، شأنه في ذلك شأن المسرح في كثير من البلاد العربية والغربية ، في طريقه إلى التطور من عذة جوانب . من دور التمثيل خاصة ذات جمهور من رجال البلاط والأشراف إلى دور عامة للنهيل أمام جمهور عام (٣) ومن عرض مسرحيات أجنبية تتهلها فرق مستوردة من فرنسا وإنجلترا والمانيا وإيطاليا إلى صور حليقة ، بدأت بعرض مسرحيات رومانسية شعبية أودينية ثم بعرض مسرحيات كلاسيكية فرنسية ، ثم بعرض مسرحيات روسية جادة أمام جمهور يهتم بشئون الفكر وينبذ الفكري المسرحي (٤) وتوأكب هذا التطور مع تحول الفكر الروسي بحالة إلى الواقع في الإدراك والاحساس والتعبير .

وفي هذه الفترة شب الكاتب ، فنانا واثرا ، وقد ولد في سورتشمسكي إحدى بلاد أوكرانيا ، في ١٩ مارس عام ١٨٠٩ ، من أبرقيق الحال ، كان يهوى تأليف الملاهي الخاصة التي عرضت في بيوت أجداد الأتارب المتعاقدين

وبعد هذه الحفنة من المؤلفات صار جوجول اديب روسيا الواقعي الاول . كما دعاه بئسكي — ناقد روسيا الاول — مشيدا بما امتاز به من اصالة وعق في الاحساس وبراعة في التصوير وجمال التعبير . وكان من نتيجة ذلك ان عكف جوجول عن اعادة كتابة قصصه الاولى لصلتها . وبدأ يخط الجزء الاول من اروع آثارة على الاطلاق : (نفوس الموتى) التي تدور حول محتال يجوب البلاد بحثا عن ضحايا من السذج ويخدعهم بشتى الوسائل ، وتقدر جوجول لبطلة في النهاية ان يتوب ويرتد اليه ايمانها بكرامة الانسان ، غيرتغ الى مصاف القديسين . وانت لوحه النفوس عريضة زاخرة بصور من الحياة وانماط من الشخصيات ، وكانها كان جوجول في اسفاره كالنحلة التي تتردد على الزهر لتسجد الرحيق فتحييه عسلا فيه شفاء للناس ، ولكن العسلا يصمد الكاتب المثالي المذنبين ، لقد اقزع جوجول ما رأى من آيات البؤس والشقاء ومصور الضياع مما بعث الشك في نفسه ، وكم من مرة مزق مسودات النفوس في جزئها الثاني ، وعبثا عاد اليه ايمانه القديم بنفسه ومثله ، فلا رحلته الى الاراضي المقدسة في فلسطين عام ١٨٤٨ ، ولا عودته الحزينة الى موسكو ، ولا نصع رجل الدين له بالاعتكاف في دير ، شفت جراح نفسه ، وانتقذه من يأسه القاتل فامتنع في النهاية عن الطعام حتى وافته المنية في ٢١ فبراير عام ١٨٥٢ .

— ٤ —

وما اصدق ما تنعكس اللحظات الالفة من حياة الكاتب وعصره على صفحة « المفتش العام » . لقد صرحها بقوله « جميعت بين دنستي المشرحة بعض عيوب الحياة في روسيا ، وجعلتها هدفا للسخرية . واذا يضحك المشاهد لها كما لم يضحك من قبل تنهز نفسي اسى ولوعة .

» جديرين بالاحترار في كل مكان » ويقنع بالزواج من حبيبته لويز التي تركها قبل الرحيل . و اراد جوجول ان يلتحق بوزارة العدل ليسهم في سن القوانين فتقبل طلبه بالرفض ثم عاد الى حياة الفاقة بعد ان اصاب نجاحا ماديا ومعنويا من نشر ملحمة . ومن الناحية الفنية ، اتبع جوجول المذهب الالماني للملحمة فاتخذها اطارا لقصة ، على ان اصالة بدت على الفور في وصفه للحوادث والاماكن والناس وصفا واقعييا دقيقا ، وبدت الواقعية صريحة في خاتمة الملحمة .

وهكذا كانت حياة جوجول في الفترة التالية ، ولع بالسفر في اوربا والعودة الى روسيا ليكسب عيشه بالتأليف والترجمة والكتابة للصحف والمجلات واعطاء دروس لابناء الاشراف ، وفي عام ١٨٣١ نشر مجموعة قصصية بعنوان « امسيات في مؤرعة ديكانكا » التي لقيت نجاحا ، شجعه على نشر الجزء الثاني منها عام ١٨٣٢ — القصص مسجدة من الحكايات الشعبية ، ولكن الكاتب غلبت خلقا فنيا جوره الصراع بين الخير والشر ، وانتهت جميعا بانتصار الخير انتصارا يمتزج بالرحمة والتسامح . وقد قدمت جوجول مؤلفاته لادباء روسيا في عصره فتوطدت اواصر الصداقة بينه وبين بوشكين وزوكوفسكي بخاصة .

ومرة اخرى سولت له نفسه المائرة ان يجنح عن طريق الادب ليشغل بالتاريخ ، فحاول ان يؤرخ للشيرة ، ثم بدأ يكتب مسرحية « المفتش العام » ثم بدأ يهتم بدراسة تاريخ اوكرانيا ، وان يدرسه في جامعة بطرسبرج في عام ١٨٣٤ ، فقتل كبحاشر وياحت ، فآمن بعد هذه التجارب بانه خلق للاديب ، وعكف على اتمام ملهاته ، و اتمام مجموعة من القصص بعنوان (ألوان عربية) ثم (ميرجورود) التي نشرها عام ١٨٣٥

من آل جوجول . ولا بد ان جوجول الصغير قد شهد ألوانا من التضافة في هذا البيت من مسرحيات تعرض ، ولوحات فنية تعلق ، وذخائر الكتب تحفظ في اروقة البيت ومكتبة . وارسل اليافس الى بلدة بيلنا ليتلقى تعليمه الاعدادي ، ثم يرسل المراهق الى بلدة نزهين ليتلقى تعليمه الثانوي ، ويتبرز في هذه الفترة شخصية جوجول المنيرة ، وتتكون المبادئ الاولى لفلسفته في الحياة ، وقد وردت لحاحات من هذه الثورة الجالمة لنفسه الحسابية في رسالة لاحد رفاقه في الدراسة حين يقول : « ان اهل نزهين يطيب لهم الذل والاستكانة ولا تحركهم كبرى القضايا ، وانما يسمعون وراء كسرة من الخبز . واني لارئي نفسي لو قضى علي ان اظل في هذا المكان الذي تخلصت عنه غناية الله » ومرة اخرى كتب لاه يقول : « اماء ، انني لقيت من الشقاء ما لا يخطر لك على بال ، ترى هل قول غيري بما اتقابل به من اهل واستنكار لا لعلك تعتقدني انني خيالي حالم ، انسي لن انسى ما حييت ما لقني هؤلاء القوم من دروس في الحياة » ولا غرو ان بال جوجول في هذه الفترة الى حياة القاتل والفزعة .

ولكن الاحداث تخرجه من عزلته اذ يتوفى والده وجوجول في السادسة عشرة من عمره ، فاذا به يتسرك الدراسة عام ١٨٣٨ ، وينقل الى المعاشية بطرسبرج ليبدأ حياة الكتاب ، ونشر اول اثر فني له في ملحمة « هانزكوشلجارت » واتضح فيها فلسفته في الحياة ومذهبه الفني بوضوح ، من دعوة الى العادة بناء المجتمع على اساس من العدل والرخاء ، وتحول من الرومانسية الى الواقعية . اما بطل الملحمة فيه الكثير من جوجول ، او يقول برحلات في انحاء اوربا سيما وراء الفن والجمال ، ويشهد في الانشاء اثار الاغريق ولكنه يعود الى وطنه وقد خابت آماله في الناس الذين وجدهم

رسالة الى صديق له في العاصمة
راه في هذا البلد ، ناسه واحداً ،
بينما تشهد الجانب المؤسي من
المسورة الحقيقية حين يدخل اليه
الشاكين من الجدل والابتزاز والظلم ،
ويدخل الحاكم مرتعاً ، وقد أعد العدة
للدفاع عن نفسه من كيد الشاكين ،
وقد أعد هداياه ، فاذا بمفاجأة
تنظره ، الا وهو خطبة خلستاكوف
لأبناء الحكم ، وكان قد اضطر الى
هذه الكذبة تخلصاً من مواجهة
وامها معا وهو يتغزل فيها . وبعد
ان يحصى خلستاكوف ما جمع من مال
وهدايا ، يستأن في السفر الى عه
في بلد قريب ليدعوه الى عرسه ، فيعد
له الحاكم عربة الدولة ، ويخرج
خلستاكوف وتابعه وهداياه من البلدة
واجراس خيلها تبعث رنينها .

ثم تتوالى المفاجآت في الفصل
الخامس . الذي يبدأ بعالم من الاحلام
تحيا فيه كل شخصية ثم ينتهي
بمفاجأة مذهلة تتبدد فيه هذه الاحلام
والاوهام . فالحاكم واسرته يدعون
البراعة في الإيقاع بالصور العزيزة ،
وكل فرد فيها يتصور ما تشتهي نفسه
من سؤدد ومجد بعد اتمام الزواج -
واهل البلدة - ظالمين ومظلومين -
يقولون مهنين خاضعين نادمين
بستغفرين ، ويكيل لهم الحاكم الوانا
من السباب ، مفزراً متوعداً ، ثم يفتح
لنيل الاستعداد لتقديم ما يناسب
من هدايا لنيل بالنسب الكريم ، وفجأة
يدخل رئيس البريد وبنو رسالة
خلستاكوف الى مسديته ، فينقلب
الحال : الجمع الممنون ينقلب الى جمع
شاكين ، وكل شخصية ترى نفسها
في المرآة ، ورسالة خلستاكوف تنقلب
وصفها وصفا كاريكاتوريا . وتلك
هي المفاجأة الاولى . . ابا المفاجأة
الثانية فتحدث حين يعلن رسول على
القوم نبأ وصول المفتش العام
الحقيقي ، ويرصد جوجوول لوجه
المفاجأة الثانية على القوم بلوغ
ساكنة جدد فيها حركة الشاكين

وقد بانث ملامحها الخارجية وإبعادها
الداخلية وميوبها الدفينة ، وبدات
الحركة المسرحية في التطور . وينتهي
الفصل بحاكم يدعي الذكاء
والاستعداد لمعاونة خلستاكوف على
النكر ، وخلستاكوف الذي ظن ان
امره قد انكشف يدرك الخدعة
ويتهنز الفرصة الذهبية ليدفع الحاكم
له حساباً في الخان ، ويدعووه
لأقامة في بيته ضيفا عليه . ويفتح
باب الغرفة ويسقط احد الريفيين
من مروجي الشائعة على انفه ، فكانها
بريز لوقوع ثلة القائمين على امر
البلدة في شبك المحتال الجديد .

كذلك يبدأ الفصل الثالث بالحاكم
يجمع من اهل البلدة المال والطعام
والهدايا باسم وليمة للمفتش العام ،
وبالوعيد والتهديد ، وها هو ينصح
زوجته وابنته بالتائق للتأثير على
خلستاكوف ، وهاهم عليه اليوم
يشابعون لتأليلته ويهدون العدة من
كلام منق وأرتداء لمسرح الفيلة ،
واعداد الهدية المناسبة ، والمشاركة
بين الواقع والأدعاء تبرز من الاحاديث
الجانبية . والتملق المتبادل بين
الشخصيات . وها هو خلستاكوف
يتنحل لنفسه اعمال المشاهير من
الكتاب والملحنين ويدعي النفوذ
الواسع في البلاط والعاصمة ،
ويمارس صورا من الغزل الرخيص
للزوجة تارة وللبنات تارة اخرى ،
والحاكم يأمر الحراس باحتام
الحراسية حتى لا يصل شك
الى خلستاكوف ، بينما الفساد
يستشري داخل بيته .

وتبلغ الحوادث الذروة في الفصل
الرابع ، فخلستاكوف يقطع الثمار
نباغاً في سلسلة من المناظر الباردة
وهو يسلب ما في جيب زائرته من مال ،
وما يحس به الزائر من رضا لما يلقى
من حظوة خاصة لدى المفتش العام ،
وخلستاكوف لا يرضى هدية الا بالمال ،
فكرض مؤقت تحنيه الضرورة ،
وسيسدده حتها فيما بعد . وتتمثل
خلستاكوف خيرة النصر ، فيسجل في

وان المشاهد لتتناوبه هذه
الاحساسات وهو يستعرض فصول
المهارة ، ويشهد مثالب البيروقراطية
الفاصلة تستشري في قرية نائية من
قرى الريف الروسي وكانها معزولة
عن العالم عزلاً تاماً .

في هذه القرية النائية ، عقد
القائمون على امراها العزم ، واحكوا
التدبير لاستغلال عابة اهلها
استغلالاً لا راحة فيه ولا هادة ولا
وازع من ضمير . فقد اجتمعت كلمة
الحاكم ، وسار على سنته ، كبير
الشرطة وكبير اطباء ومدير التعليم
ورئيس البريد ، ابي كبار رجال
الامن والتعليم والاعلام والعلاج ، ومن
يسر في فلكهم ، على اخذ الهدايا
والرشاوى من يلجا اليهم في حاجة
من اهل القرية . وحين ترفع الستارة
يعلن الحاكم نبأ عزم المفتش العام
على زيارة البلدة مبتكراً ، بل لعله
قد وصل دون ان يدري به احد .

فملى كبير الشرطة ان يقطع مؤقتاً
عن الشراب ويأشتر تنظيف الشوارع
التي تراكمت فيها القاذورات ، ويرتدي
حلتة الرسمية بدلاً من ثيابه المهلهلة ،
وعلى كبير اطباء ان يتدارك حال
المرضى وما يصر فعلهم من دواء وطعام
في المستشفى يذهب ثمنه الى جيبه
وعلى كبير القضاة ان يتدبر امردواجنه
التي يربيبها في ساحة المحكمة ، الى
غير ذلك من الاعمال التي تخفي عيوب
البلدة عن المفتش القليل . وها هو
خلستاكوف وتابعه اوسوب في خان
البلدة ، يحتال مغامر مقابر ينساور
للحصول على وجبة الطعام . في هذا
الفصل الاول تعرض كل الشخصيات
عارية غير مخفية ، حتى يأتي الريفيان
ليخبرا الحاكم وثلته بان المفتش
ابتكر قد وصل الى الخان ، وهكذا
تبدأ السخرية المسرحية في لعب
دور رئيسي منذ البداية ، امام جمهور
يعلم الحقيقة وشخصيات مسرحية
على غير علم بها .
ويقدم الفصل الاول من المسرحية
لوحة حية من الشخصيات الرئيسية



مَسْرَحِيَّةُ المَفْشَشِ العَمَامِ

بلعب دور المحتال الكامل على محتالين وهو راض عن نفسه . ويتجلى ذلك وهو يدعي الثراء والسطة على خادم الخان، والثراء والسودد على زوجة الحاكم وابنته ، ثم يطلع على آيات من الظلم والمذلة حين يعرض عليه الشاكون الشكاوى . كما تبدو براعة جوجول في احكام المفاجآت حين تدور الدائرة على كبار اهل البلدة . ولكن الملهة تنتهي ، ويولي الضحك ادراجه خلفا مسحة من التثساقم الحزين ، حقا لقد لقي المحتالون عقابهم ، ولكن محتالا اخر ، هو خلسناكوف ، ما زال حرا طليقا ، لم يدركه الغفشي العام الحقيقي . ترى هل قصد جوجول ان يشير الى الشر الطليق ، والى صراعه الابدى مع الخير ؟ ربما ، ولكن المسرحية قد حوت جوهر رسالته الدائمة الدائبة، التنديد بالشر ، والتعريض به كوسيلة لخلق المجتمع الصالح .

— ٥ —

وبعد ، فقد عبرت هذه المسرحية اصق تعبيرا واجملا ، عن رسالة كاتبها ، وعصره ، بحيث اصبحت من الروايع المسرحية

وان نظرة مقارنة بين بعض جوانبها وبعض الجوانب في الاداب الاخرى لتشبهنا على ما فيها من براعة ، ونرى لنا الطريفي في فترة تطورها نحن العربي ونحوه الى الواقعية وتصوير حياتنا المعاصرة . فمثلا تعددت صور « الشاطر » في الادب الشعبي العربي في حكايات الف ليلة وفي المقامات ، في عصور الانحلال التي تكسب فيها البطل بالتحايل على الخلاه والظالمين . على ان الاديب الموهوب يخلق من الحكاية قصة ومسرحية جادة ، كما فعل جوجول في هذه المسرحية ، وكما فعل مولير في « طرطوف » وفي « الطبيب المزيف » وفي « المريض الدمي » وكما فعل بن جونسون في « فولبوني » او الغراب » وقد بدأت هذه المحاولات

وتسدل الستارة الاخيرة . وتبدو براعة جوجول في استعمال الادوات المسرحية في مواضع كثيرة من المسرحية ، فمن سخرية الاقدار ان يخدع محتال محتالين ، ومن سخرية الاقدار ان يكون الريفيان الساذجان وسيلة لقلب الحال ونشر الشائعة التي جعلت اولي الامر في البلدة موضعاً للسخرية ، ومن سخرية الاقدار ان يكون رئيس البريد حامل نيا الحقيقة بعد ان كان اداة لافائها عن الراي العام الخارجي . اما الفكاهة فتابعة من اوصاف الشخصيات الخارجية ومعظمها من الريفيين والسذج ، وتابعة من مفارقات الاحداث ، ومن النورية في الحوار ، ومن جهل اولي الامر في البلدة بحقيقة خلسناكوف ، الذي يستمتع حقاً

في الظهور على خشبة المسرح العربي المعاصر ، وعلى شاشية التلفزيون حين يعرض الريف وقد تأثر على اهله العمدة والمهاجر في عصور الظلم والطفيان ، وحين تعرض فكرة الشائعة في مسرحية كمبرحية « الزوبعة » لحيود دياب (القاهرة ١٩٦٦) مصورة النفاق الاجتماعي في صورة ريفي يسجن ظلماً ، واهله يضطهدون ، ثم يشاع نيا هربه ، فينتقل الناس اهله ، ثم يكتشف ان الخبر مزيف ، فيزيد اضطهاد الناس لاهله ويذهب بطش الباطنيين بالناس . وما اتسبه الفترة التي عاش خلالها جوجول بالفترة التي نجتازها ، من تطور الادب المسرحي ، والاتجاه الواقعي الادبي ، ودراسة الاديب لنفسه وللحياة القومية والانسانية من حوله ، حتى يبدع علة يخلق اثرأ فنيا يتجاوز الحدود الاقليمية الى الافاق الانسانية الرحبة فيكون له نصيب من الخلود .

الكويت يونيه ١٩٦٩

د. محمود حامد شوكات

- (١) مصرها مسرح الحكيم في موسم ١٩٦٦ د. رشاد رشدي حوار عامي وشخصيات مصرية ، وعرضت على شاشة التلفزيون بالكويت مساء الخميس ١٩٦٩-٩-١٦ .
- (٢) لجوجول مسرحية تاريخية مفهورة هي « الفريد الاكبر » وليس لها قيمة فنية كبرى .
- (٣) انشا القصر الكسبي اول دار للتمثيل في موسكو عام ١٦٧٢ ثم انشا بطرس الاكبر دارا كبرى للمسرح بها عام ١٦٨٢ ثم انشا كاترين عدة دور للتمثيل في موسكو وبطرسبرج .
- (٤) رومانسية مثل مسرحية « ايريس جورونوف » لبوشكين (١٧٩٩-١٨٣٧) وكلاسيكية متأخرة بمسرح مولير مثل « البريجاير جنرال » لنديس فيجن (١٧٤٤ - ١٧٩٢) وشطرنج وندم للاكسندر جريبودون (١٧٩٥ - ١٨٢٩)

شهرين امضيتها
طريح الفرائش بين الكويت — عمان
حمل الى البريد كتبا قيمة اهدانيها
مولفوها الاماضل لتكون انيستي في
وحشتي وجليستي في وحدتي ، وانا
ملازم مرائش الداء :

سهر اذا جالسته كان يسليا
فؤادك عما فيه من ألم الوجد
يفيدك علما او يزيدك حكمة
وغير حسود او بصر على حقد
ويحفظ ما استودعته غير حافل
ولا خائن عهدا على قدم العهد
والساعة يحلو لي ارسال كلمة
في كل من هذه الكتب ، مراعي الحيز
الذي خصنتي به « البيان » الفراء :

واستهل الدكتور السهره كتابه
التفيس هذا بفصل عن اكتشاف
جزيرة العرب وقصة الصراع الذي
نشب بين العرب والبرتغاليين في
جنوب الجزيرة العربية وانهاه بفصل
قيم حول بريطانيا وفلسطين وعودها
المتناقضة .

اخيرا تحية اعجاب وتقدير
نزجها الدكتور السهره بمناسبة
اشرافه كتابه الجديد ونصيحة من
قلب نوجهها للقارئ العربي بان يقرأ
هذه الطرفة ليقتف على احداث
ومغامرات اجترحها غربيون
استعماريون في بلادنا وكان وطننا
مسرعا لتلك المغامرات والحوادث .

ففي عام ١٩٦١ طالعنا بكتابه
« من الامال العالمة » وفي عام ١٩٦٧
طلع علينا بمؤلفه « ادباء الكويت »
وفي عام ١٩٦٩ اتحفنا بكتابه « خالد
الفرج » وقد اهداه الى روح المصلح
الاجتماعي المرحوم عبدالعزيز الرشيد
وفي مؤلفه هذا تحدث عن حياة شاعر
الكويت الواعي خالد الفرج وعن
اثاره وشعره السياسي والاجتماعي
الذي نظمته في الهند والبحرين
والسعودية .

وكما ان اديبنا الكبير الاستاذ
خالد سعود الزيد لم ينس شاعرا
ناهيا مات غريبا عن وطنه ، كذلك
لم ينس هذا الشاعر القومي فلسطين
التي تالبت عليها قوى الشر والظلم
فقد صور محتنها وكشف عن الممارات
التي احدثت بها تهديدا لتوحيدها .
ورجائي بعد هذه اللحة ان
يتقبل اخونا الصفي الوفي « ابو سعود »
تهنئتنا مزدوجة بانه الرائع الماتع
الذي اطل علينا به وبتعريفه الاديب
العربي خارج الخليج العربي بشاعر
تابغ جسد مشاعره القومية بشعر
دعا فيه العرب الى التهوؤ والسير
مع ركب الحضارة لللا تاخذنا سنة من
النوم فتنفو اغفاء اهل الكهف .

٣ — دراسات كويتية ..

ومن تونس الخضراء واماني
الاديب الواعي الاستاذ فاضل خلف
بكتابه « دراسات كويتية » وقد
حزم فيه لوحات اثيقة من قلبه ،
قدمها للقارئ العربي ليطالع فصولا
طريقة عن تاريخ الكويت القديم
وتاريخ الكويت قبل مائة عام وعن
مؤرخها الاول المرحوم عبد العزيز
الرشيد وحلة لواء الشعر فيها
امثال فهد العسكر وخالد جعد الفرج
وغريهما من محول الشعر في عاصمة
الؤلؤ .

لا شك في ان اخانا (فاضلا)
قدم للخرانة العربية خدمة جليلة



٢ — خالد الفرج ..

يتميز الاديب الموهوب الاستاذ
خالد سعود الزيد باداء رسالته في
صمت وهدهو ونشر كل ما من شأنه
ان يرغم من مكانة الكويت ويعلي من
شان وطنه ويخلده على خارطة
الدنيا .

وفي كل عام يطالع اديبنا الملم
المكتبة العربية باثر ماتع نفيس
يكشف عن وجهه الكويت وبحسر
للثام عن صفحات مطوية من تاريخها
وادبها .

١ — غربيون في بلادنا ..

مؤلف هذا الكتاب هو الدكتور
محمود السهره الذي عرفه ادباء
البيوط العربي كاتباً بارعا وناقدا
موهوبا . وفي هذا الكتاب يروي
الدكتور السهره قصص رهط من
الرحالين والمغامرين المستعمرين الذين
اموا بلادنا وعاشوا بيننا انجازا
لمهات سياسية ، امثال ليستر
ستانهوب وريتشارد بيرتون وكرومر
وكتشنر وتي . اي . لورنس وجرتروود
بل .

بكتابه الممتع هذا وحسر اللثام من وجوه لم تكن معروفة في الوطن العربي مشرقتا ومغربا قبل أن يجلوها الأستاذ (فاضل) بقلبه السخي ، واسلوبه الطلي ، غلزننا من هذه الدراسات زاده الله هدى ونورا .

٤ - الأدب والقومية في سورية

سامي الكيالي صاحب مجلة (الحديث) الحلبي أحد اعلام أدبنا المعاصر في الجمهورية العربية السورية وحسبه انه اثرى المكتبة العربية بأثنين وعشرين مؤلفا كلها من عيون الكتب .

وكتاب « الأدب والقومية في سورية » محاضرات الفاه الأستاذ الكيالي على مئطلاب قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة . وتمكينا للطلبة من اقتناء هذه المحاضرات القيمة قام معهد الدراسات بطبعها واخراجها في كتاب قيم اشتمل على فصول مبسطة . تتناول فيها المحاضر موضوعا طريفا مغريا ، واكمل بها السلسلة التي بدأها ساطع الحصري والامير المعالم مصطفى الشهابي وعبد الرحمن اليزاز وغيرهم ممن عاجوا القومية والأدب في العالم العربي .

وخشية ان اتهم بالمغالاة اقول :

هذا كتاب « نهضة في عقته » ومن طلب الاصاله وشهد الجوهر عليه ان يقرأ « الأدب والقومية في سورية » عندها يشاركني في تحية المؤلف الواعي المعروف بمحاضراته الذهنية ومعالجاته القومية ..

٥ - أدباء حلب ..

تعدت مجلة « الكلمة » الحلبيه لساحبها ممالي الأستاذ فتح الله الصقال لقراءتها كتاب « أدباء حلب ذوو الاثر في القرن التاسع عشر » تأليف الشاعر المرحوم قسطنكي الحمصي عضو الجمع العلمي العربي بدمشق .

في عام ١٩٢٥ طبع الحمصي نسخا محدودة من كتابه السالف

الذكر احداها الى زملائه في الجمع العلمي العربي والى حفنة من اصداقائه في العالم العربي . فتابلت الصحافة العربية هذا الاثر النفيس بالاطراء والتقدير غير ان الخزائنة الادبية ظلت تشكو الظلم من فقدان هذا الكتاب الى ان تنبه ممالي الأستاذ الصقال الى هذا القحط ، فتفضل باعادة طبعه وتقديمه هدية لقراء مجلة « الكلمة » وهذه بمنة نسطرها للأستاذ الصقال بالشكر والتقدير ونضيفها الى عوارف الفضل التي اسبقها على أدبنا المعاصر بمؤلفاته النفيسة .

٦ - من شعراء العصر

هذه لمصول في النقد والادب وضعها الناقد اللغوي الأستاذ جميل علوش احد اديباء فلسطين في الكويت وتناول فيها شواخص من شعراء العرب المعاصرين ابتداء من شوقي وحافظ ومطران والزهاوي والرصافي والجواهري والصافي النحفي .

والمل الأستاذ « بك » هذه الطريقة التي تقدمها لأدبنا المعاصر ، يوالى الكتابة في هذا الميدان وهو الأديب الاصيل الذي عرفناه في كل ما كتب اديبا ناقدا ذوافا .

٧ - اغاني الزرعة ..

كان شعر الصديق الشاعر الدكتور سليمان داود ، (نزيل هيوستن - ولاية تكساس) ومعيد جامعة الادب العربي في الولايات

المتحدة وكندا ، موزعا بين الصحف والمجلات العربية في الوطن والمهجر حتى اتاح الله له جمع منظومه دفعه الى دار الريحاني للطباعة والنشر في بيروت فاخرجته اخراجا اتيقا موفقا في جزئين ضخمين اشتمل الاول على « صوت الشلال » وفيه عالج طيبينا الشاعر القضايا الوطنية والخليج ومشاكل المجتمع .

وتضمن الجزء الثاني منه بابين الاول « دموع الراعي » وهي مرث لرحلات عرفهم الشعار واقتراء ابيهم ووجوه غالية غالها الردى ، والباب الثاني « أحلام الراعي » وقد اشتمل على خترات حكيمة وببساطات اخوانية .

ومن دواعي الاعتزاز ان يهد لهذا الديوان الدبلوماسي الأديب الأستاذ شاكرا الدبس (نزيل سنان بابلو - البرازيل) بتقديمه بنفسه جعأت دراسة مستكملة الجوانب والابعاد في سبع وعشرين صفحة . واخيرا لنقتبل اخونا الشاعر الثاني الدكتور سليمان داود باقاة من تهايتها القلبية على هذه الطريقة الادبية التي انتظرها عشاق اديبه طويلا ، ولينطلق عزيزنا الاديب الأستاذ شاكرا الدبس بيقول مظهرها على المقدمة التي اضافها على هذا الديوان اليافع العنايف ، فجأت دليلا على ان المهجر لم يؤثر على عروبه الصافية وعلى قلبي العربي الاصيل .

« البدوي المتمدن »

● سعاد الكويت ، قبل شهر ، السيد رئيس التحرير : عبد الله زكريا الاتصاري . من اجل متابعتي العلاج في لندن والقاهرة ، ومرامجة اخصائيين في جراحة الأنف . رافقتي الصحة والسلاسة في حله وترجاله ، واعاده الله اليينا قويا ممتلئا . ليابع اداء مهنته الفكرية الجليلة وخدمته الوطنية لبده العزيز .

سفر
رئيس
التحرير

حركات الإعراب وحركات البناء

فأربعة للأعراب وأربعة للبناء . والقاب الأعراب رفع ونصب وجزم والقاب البناء ضم وفتح وكسر ووقف . وهي وإن كانت ثمانية في المعنى فهي أربعة في الصورة . وجاء في نفس الصفحة ما يلي : فإن قيل هل حركات الأعراب أصل لحركات البناء أو حركات البناء أصل لحركات الأعراب ، قيل اختلف النحويون في ذلك . فذهب بعض النحويين إلى أن حركات الأعراب هي الأصل وأن حركات البناء فرع عليها لأن الأصل في حركات الأعراب أن تكون للأسماء وهي الأصل فكانت أصلاً . والأصل في حركة البناء أن تكون للأفعال . حروف وهي الفرع فكانت فرعاً . وبأخرون إلى أن حركات البناء وهي الأصل وحركات الأعراب فرع عليها الخ . وجاء كذلك في الكتاب لسببويه (باب مجاري أواخر الكلم من العربية) : وهي تجري على ثمانية مجاز على النسب والجزم والرفع والجزم والفتح والكسر والضم والوقف . وهذه الجارية الثمانية تجمعهم في اللفظ أربعة أضرب فالتنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد والجزم والكسر ضرب واحد وكذلك الرفع والضم والجزم والوقف وأما ذكرت

بالضمة ومنصوب بالفتحة ومجرور بالكسرة ومجزوم بالسكون . أن الضمة والفتحة والكسرة والسكون هي القاب بناء . أنها بالضبط القاب الحركات التي تلحق الأسماء المبنية أما الحركات التي تلحق الأسماء المعربة فيجب أن يكون لها أسماء أخرى إذا كانت تؤول في الفتحة العلمية والابتعاد عن التناقض . أن حركات البناء غير حركات الأعراب وإذا اختلفت التسميات فيجب أن يختلف التسميات . والنحو علم دقيق فليس من الصواب أن تقع تسمية واحدة على مسمين في علم واحد . ونحن لم نبذع هذا الكلام ابتداءً ففسد إشار إليه التحذير إشارات مقتضية في كتبه . جاء في شرح التصريح على التوضيح (ج ١ ص ٦١) ما يلي : « فيلزم من جعل أنواع البناء علامات إخفاء في استحالته . وأعلم أنهم اختلفوا في حركات الأعراب أي حركات البناء أو غيرها . فقال الجمهور غيرها وقال قطرب هي هي . قال في الهمع والخلاف لفظي لأنه عائد على التسمية فقط . »

وكذلك جاء في كتاب أسرار العربية للابن بري (ص ١٩) : « فإن قيل كم القاب الأعراب والبناء قليل ثمانية

الأعراب هو اختلاف أواخر الكلم باختلاف العوامل لفظاً وتقديراً . والبناء لزوم أواخر الكلم بحركة أو سكون . وقد حدد النحاة للأعراب أربعة القاب هي الضم والفتح والكسر والسكون ، ومع ذلك فقد خلطوا بينهما ولم يراعوا الحدود الفاصلة بين البناء والأعراب . فهم يقولون مثلاً : فعل ماضٍ مبني على الفتح الظاهر ثم يقولون في أعراب المفعول به : مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره . وهكذا يقولون (حيث) ظرف مبني على الضم . ويقولون في أعراب الفعل المضارع مثلاً : فعل مضارع علامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره . ويقولون في (أمس) ظرف مبني على الكسر . وفي المجرور بحرف الجر أو الإضافة . مجرور بالكسرة الظاهرة على آخره . ويقولون في (نعم) حرف جواب مبني على السكون . وفي المضارع المجزوم : هو فعل مضارع مجزوم بالسكون الظاهر على آخره .

وفي كل ما ذكرت من أقوال النحاة خرق واضح لأصول النحو ولقواعده الأساسية وابتعاد عن الدقة العلمية . إذ ليس من الدقة العلمية أن نقول أن الضم والفتح والكسر والسكون من القاب البناء ثم نقول مرفوع من

ثمانية مجار لافرق لك بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل وليس شيء منها الا وهو يزول وبين ما يبني عليه الحرف بناء لا يزول عنه .

وجاء في شرح المعضل لابن يعين (ج ١ ص ٧٢) ما يلي : واعلم ان سيبويه نصل بين القاب حركات الاعراب والقاب حركات البناء فسمى حركات الاعراب رفعا ونصبا وجرا وجزما وحركات البناء ضما وفتحاً وكسرا ووقفا فإذا قيل : هذا الاسم مرفوع او منصوب او مجرور علم بهذه الالتاب ان عالما عمل فيه يجوز زواله ودخول عامل اخر يحدث عمله ووقعت الكسائية في الفرق بهذا اللفظ .

من هذا كله نفهم ان الضم والفتحة والكسرة ليست علامات اعراب وان في جوهر التسمية خروجا عن المنطق النحوي وتشويها لاسمه ومبادئه . اذ كيف يكون الضم والفتح والكسر القاب بناء وتكون الضمة والفتحة والكسرة القاب اعراب ! ليس في ذلك منتهى النقائص ؟

وما دمت قد اثبتنا وجود هذا التناقض وما دمتا وضعنا ايدينا على الداء فما علينا الا وصف الدواء . وعلى الرغم من قلة المصادر النحوية بين يدي الا انني سمعت من بعض اساتذة النحو في الصفوف الثانوية ان النحاة القدماء كانوا يسمون الضمة (الرفع) والفتحة (النصبة) والكسرة (الخفض) . وهذا ما يتفق ويتسق مع المنطق النحوي السليم . وقد وجدت في (المنجد) في مادة نصب قوله : والنصبية علامة النصب في الاعراب . وهو تأكيد لما سمعته من الاساتذة المشار اليهم آنفا . وفي هذا كله حل للشك الذي عرضناه . بقي لنا ملاحظة ننبهها وهي ان في قولنا الرفعية والنصبية والخفضية شيئا من الثقل وعدم الاستساغة فيما احرانا ان ناستبدل

بها تسميات انصب واخف فنسمي الضمة في البناء (حركة رفع) في الاعراب والفتحة حركة نصب والكسرة حركة خفض او جر . فنقول مثلا فاعل وعلامة رفعه حركة الرفع الظاهرة ، ومفعول به علامة نصبه حركة النصب الظاهرة ومضاف اليه علامة جره حركة الخفض الظاهرة . ويتخفى بذلك على نقاض كبير يمكن في اساس خطير من اسس النحو . اما علامة الجزم فهي حذف الحركة . وقد اشار ابن هشام الى ذلك في اكثر من موضع جاء في شرح شعور المذهب (ص ٣٦) ما يلي : ومن انواع الاعراب ما هو خاص بالفعل وهو الجزم نحو لم يقم (فقيم) فعمل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه (حذف الحركة) انتهى . وكما ان علامة الجزم في الممثل والناتص هي حذف حرف اللة كذلك علامة الجزم في الصحيح الآخر هي حذف الحركة وهي تسمية دقيقة وصحيحة . اما السكون فليس علامة جزم بل علامة بناء وان كانت الصورة واحدة في كلا الحالتين . اما منشأ هذا التناقض او هذا

الخلط فلنحاول ان نبين في كتاب النحو القديمة . جاء في شرح التصريح على التوضيح ما يلي : « فالاولون يطلقون على حركات الاعراب الرفع وعلى حركات البناء الضم وقطرب ومن وافقه يطلقون اساء هذه على هذه » . وجاء في اسرار العربية للانبساطي ما يلي : وقد خالفه (يعني سيبويه) الكوفيون وسوا الضمة رفعاً والفتحة نصبا والكسرة جراً والصواب مذهب سيبويه لما فيه من فائدة .

ومن هذين التصنين نفهم ان الاولين تمسكوا ببداءي النحو واصولوه غيوزوا بين علامات الاعراب وعلامات البناء وان الخلط انما جاء متأخرا . فاطلاق اساء هذه على هذه دون تحيص او تدقيق ليس في عرف المنطق الا خلطا وفوضى اذ ان لكل علم

حدودا وقيودا تصان وترعى ، وليس من الحكمة ولا من العلم طمس هذه الحدود والقيود . ثم ان البصريين وعلى راسهم سيبويه كانوا ادق من الكوفيين واكثر مراعاة لعلم اللهجات واشد حرصا على تاصيله وتقعيده . فلئن كان الكوفيون اكثر اهتماما بالسليقة والسماح فالبصريون كانوا اكثر اهتماما بالقياس وميل للتسليم بالحدود والمصطلحات . ونحن في مسألة كهذه مردعا للتفاصيل والتعقيد لا يسعنا الا الاعتماد على رأي البصريين وحسبنا في ذلك تصويب صاحب المعضل لهم وتأييد رأي امامهم سيبويه . وليعتقد قطرب ومن وافقه ما يمتدحون فعلى الرغم من كل شيء يبقى رأي البصريين اثبت واتسوى واجود بان يعتمد عليه ويستشهد به ويرجع اليه .

ويلحق بهذا الموضوع مسألة اخرى فرعية ولكنها خطيرة وتستحق الاهتمام . يقول النحاة ان الحركة هي علامة الاعراب في الاسم المفرد المعرفة وهذا صحيح . ولكنهم يقولون ايضا انها علامة الاعراب في الاسم المفرد النكرة وهذا بحاجة الى دراسة وتحصيص . نقول : راي الاستاذ فتكون علامة المفعولية هي حركة النصب او ما تعارف النحاة على تسميته (بالفتحة) ونقول : راي استاذنا انما تكون علامة المفعولية ؟ يقول النحاة انها ايضا حركة النصب . ولكننا نرى حركتين لا حركة واحدة ويحتج النحاة هنا بان الحركة الثانية اشارة الى التنوين المصريح به لفظا المحذوف خطأ . ونرى في كتب النحو قولهم في اعراب (استاذ) في الجملة السابقة انها مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة على اخره . ولكننا نرى حركتي نصب لا حركة واحدة فبماذا نكفي الامر وكيف نخرج المسألة وباية وسيلة ثلثناي عدم الدقة في اعراب النحاة ؟ الصحيح والاقرب الى الدقة ان نقول ان علامات الاعراب الاصلية في النكرات المفردة هي تنوين

رد على نقد
هادي طمرة

يكفيك مني

هجمت أن اجعل عنوان كلمتي
« نقد النقد » ولكنني اثرت أن اتوجهها
بهذا العنوان الهادي ، وكاد أقول
الهامس ، وعلى كل فما أريد أن أقوله
للصديق هادي طمرة تعليقاً على ما
كتبه في العدد ٤٤ من مجلة البيان :
أن ما غناني حقاً من كتاب غـالـي
شكري هو قضية محورية مؤداها أن
كل حركات التجديد في الشعر العربي
عقيمة — وبالتالي العقلية العربية —
ما عدا تلك الحركة الوحيدة التي قام
بها الدكتور لويس عوض ، وأن كل
النقد العربي عقيم ما عدا « المقال
المفرد » الذي كتبه حول هذه القضية
محمود أمين العالم ثم التركيز بذكاء
بعد ذلك على أن قضية الشعر
الحديث هي الوسام الوحيد الذي
يجب أن يعلق على صدر الحضارة
العربية ، أما ما سبق ذلك فهو العار
كل العار ..

وفي ضوء هذا حشرت الحديث
في مقالتي بالعدد ٤١ ثم كتبت كلمتي
بالأسلوب الذي يوصل الى هذه
القضية ، وقد يكون مقالتي هادناً على
غير عاتبي في الكتابة ، وقد يكون
هادي طمره ما زال مناوراً بالمقالات
التي كنت أكتبها حين كان لي نوع من
الإشراف على المجلات الأدبية التي
أغلقت كالرسالة والثقافة والشعر .
ولكنني أقول صادقاً ، يكفيك مني
الآن ، وهذا الصوت الوسماني .. في
هذا الزمان !..

د. عبده بدوي

مسابقة عامة

بمناسبة اقامة اسبوع التريسة في
الفترة بين ٢٠-١٢-٦٩ — ١٢-٢٥
١٩٦٩ ، تعلن جمعية المعلمين
الكويتية عن مسابقة تنوع موضوعها
حول محور الاحتفال باسبوع التريسة
لهذا العام وهو « المدرسة والمجتمع
في معركة العصر » وذلك بكل من الاساليب
التالية :

- ١ - البحث او المقالة .
- ٢ - القصة
- ٣ - القصيدة
- شروط المسابقة :

١ - لكل مشترك الحق في ان يكتب
موضوعاً واحداً او اكثر بأسلوب واحد
او اكثر من الاساليب الثلاثة على ان
يقدم كل موضوع مستقلاً عن الآخر .
٢ - يكتب الموضوع على ورق منفصل
من حجم الفولسكاب ، على وجه واحد
منه ، بخطه وبخط واضح ، مع
ترقيم الصفحات ، وذلك على تسخين
بالكرتون ، تقدم احوالها للجمعية وتبقى
الآخرى لدى المسابق لتتجهها عند
فتح موضوعه لاثبات ملكته .

٣ - يكتب للمسابين اسميه وفتوانسه
على ورقة منفصلة ترفق بالموضوع
ويرسي على اية صفحة من صفحات
الموضوع .

٤ - يرسل كل موضوع في مظاروف
مغلق بالبريد العادي — غير المسجل —
بغلاف « جمعية المعلمين الكويتية
ص.ب. ٢٢٠٨ » وعلى جانب المظاروف
عبارة « مسابقة اسبوع التريسة —
ون نقل الموضوعات التي تصل بعدد
٢١-٣-١٩٧٠ .

٥ - ستقدم الجمعية جوائز مجموعها
١٥٠ دينار ، يخصص لكل اسلوب من
الاساليب الثلاثة ٥٠ دينار منها ٢٥
دينار للفائز الاول و١٥ دينار للفائز
الثاني و١٠ فائز الثالث بالإضافة اليهيدالية
تفكيرية لكل من الفائزين ، وسخفشار
الفائزين لجنة من المختصين في كل فن
من الفنون الاربعة .

٦ - نشر الموضوعات الفائزة في
الصحف .
٧ - تحتفل جمعية المعلمين الكويتية
بفتح نشر واستغلال الموضوعات
الفائزة .

الرفع وتكوين والتصبيوتوين الخفض .
وبذلك نخلص من كل اشكال والنبايس .
بقي علينا شيء واحد الا وهو قول
النحاة في الاعراب فاعل مرفوع بالضمة
او مفعول منصوب بالفتحة او مضاف
اليه مجرور بالكسرة . وبغض النظر
عن مسألة الضمة والفتحة والكسرة
مما ابدينا رأينا فيه انما فهو قول خطأ
ولا يجبر عن المعنى المقصود بقية .
ان حرف الباء هنا للسببية وهذا يعني
ان حركة الرفع هي سبب الرفع وان
حركة التصبب هي سبب التصبب
وكذلك حركة الجر وهذا خلاف
المقصود . فالاصح ان نقول مرفوع
وعلاجه رفعه حركته الظاهرة او
الضمة حسب التعبير المعتاد .

وهذا يقود الى اشكال اخر وهو
افتراض وجوب ظهور حركات
الاعراب على اواخر الكلمات والا
نكفي نقول علاجه رفعه الحركية
الظاهرة ؟ الا يعني ذلك انها واجبة
الظهور ؟ وهل يعني هذا ان الجملة
العربية يجب ان تكون مشكلة تشكيلاً
تاماً ؟ وما قولنا في الكتابة في العصر
الحاضر وهي خالية من التشكيل في
معظم الاحيان وكيف نستطيع ان نقول
ان حركات الاعراب ظاهرة وهي
ليست كذلك ؟ الا يدل هذا كله على
ان قولنا فاعل مرفوع يكفي لاعراب
الكلمة وان وجود العلامة ليس لازماً
ولا ضرورياً فالمعنى وحده هو الذي
يحدد الالتباس ويعين الوظيفة
الاعرابية ؟ فلو وضعنا حركة التصبب
على اخر الفاعل اعني ذلك انه
يظل ان يكون فاعلاً لا كلا فالحركة
لا تفر شيئاً في الوظيفة الاعرابية
ولكنها تدل عليها وتوحي بها فضلاً
عن انها تسهل فهم المعنى والاحاطة
به .

ارجو ان اكون قد وفقت في معالجة
بعض المسائل التي تتعلق بحركات
الاعراب والبناء وان اكون قد اثرت
بعض القضايا النحوية التي تهم
دارسي النحو والمهتمين به وفوق كل
ذي علم عليم .

صرخة

هذه صرخة مظلوم فمن لي بالقضاء؟
من شهودي عندما أفصح أعدائي الجناه؟
أين من يحمي وجودي قاضيا لي بالنجاه
ينتقد الإنسان من عدوان إنسان سواه
أيتوني، أنصفوني من عداة ظلموني
أنكروا حقي وإنسانيتي ٠٠ بله الحياه
لن يدوم الظلم في الارض، ولن يبقى الطفاه

يولد الإنسان حرًا لا غرق ٠٠ لا انتخاب
لا يد تحرز قصرًا ويد تطوي السراب
ليس خلق البيض من تير، وخلقني من تراب
هل يميز الفرد عن فرد سوى لون الثياب؟
فلماذا احتقروني؟ ولماذا اضطهدوني
هؤلاء البيض مفرورون، ظلام، عصاه
وأذا دلووا بجاء فالهني لي جاه

حائل اللون، حيال البيض، كنا سواء
صنعة الله، تعالى الله يبيري ما يشاء
نحن من آدم خلق واحد، لا فرقاء
ليس للبيض خلقتنا، بل لحب وإخاء
فلماذا استعبدوني؟ ولماذا عذبوني؟
وسواد القلب فيهم غالب لون الجباه



شعر
خليل جبريل خليل

هَائِسانَ ملون

من غابات السجون وهو مرفوع الجبين
ليس الا للمساواة وللسلم الحياه
وهي ليست للدعاة العنصرين الفلاح

ارفعوا الايدي يا كل الحشود الاجنبية
عن « رودسيا » ، واتركوها حرة للاغلبية
عن « فيتنام » ، وردوها الى الروح الابيه
وعن « القديس » ، دعوها للوجوه البعريه
أبداً ان تهزمتوني أبداً ان تهزمتوني
أخرجوا من كل شبر لي ، أعداء الحياه
وارحلوا عن أرض قومي نحن في الأرض الحياه

قد دعا الداعي الى الخير ، فهل منكم سميع ؟
وهو يهدي لآزاء وسلام للجميع
ومساواة وحب مستقر في الضلوع
هو صوت الحق ، بالحق ينادي في الجموع
فاتبعوه بيقين واسمعه كل حين
وتخلوا عن فُعال وخصال مُزْدَرَاه
ودعوا العالم ينعم بسلام وحياء

والمساكين الألى مثلي أحباب الاله !

ان أنا كنت من الصومال ، أو كنت ابن مصر
وإذا كنت ابن زنجي ، وان كنت ابن حر
وإذا خالفت في اللون والاجناس غيري
قل فما ذنبي ؟ وما فضلك ، يا منكر عثري ؟
ولماذا عيوني ؟ ولماذا خاصموني ؟
وبلادي استنزفوها ، وتولاهم المقاته
واستباحوها مهاداً للخطايا والخطاه

ان أنا اخترت طريقي وسلوكي في الحياه
واقمت الكوخ بالمزة أحيا في ثراه
وانقضيت السهم يوم الرّوع كي أحمي حماه
وتخبرت لنفسي ثمر الكدح اتجاه
فلماذا سفهوني ؟ ولماذا حقروني ؟
وأنا من عف لم يركع ولا امتدت يده
يا لظلم الناس للناس اذا ساد البغاه !

أعلنوا حتي صريحا عاليا عبر السود
أبلغوه « لايان » و « ديّان » وابن هود
أبلغوا البيض جميعا أننا لسنا عبيد
أبلغوهم أن حق الشعب حتم أن يعود

خليل جرجس خليل

(القاهرة)

نصيب

الأموى

شاعر يطمح للكمال

رائق شفاف . ولعل آية العجب في نصيب انه صَح
وزكا واستوى على عوده كما يصح نبت الطود بين
المعاطب الكثيرة اذ كانت جذوره تضرب في الصخر
الاصم الى حيث لا تجد من الماء او لا تكاد تجد من الماء
ما يشبع . ولعل هذه القسوة الصخرية المتحجرة قد
استطاعت هذه الجذور ان تقاوم ما يعترضها من صلابة
جاسية ، حتى وجدت في الغور البعيد قطرات تبل
بها بعض الاوام ، هذا هو نصيب في حياته الجاهدة
الكدوح ، فلننظر كيف قطع ادوارها الشاقة في صلابة
واستبسال . نشأ نصيب ، ليجد نفسه عبداً نوبيا
يرعى الابل ، ويجلس مع مواليه بالمكان الابعد الجفوة ،
وان في لونه الاسود المعتم السواد ، وفي حنجرتة اللانثة
ببروز شائه ، وفي شعره المنقطع عن العارضين ،
المتناثر في الراس تناثرا يوحى بالفنور والاشباح عنه ،
في ذلك كله ما يزيد من اقصائه ونبوته . وقد صدق بعض
من هجاءه بقوله :

تراه على ما لاهه من سواده

وان كان مظلوماً له وجه ظالم

اقول صدق صاحب هذا الهجاء لانه عبر عن
حقيقة نفسية هي استبشاع الوجه القبيح والتعابل
عليه لدى الكثيرين حتى لينسب له الظلم وهو مظلوم .
ولعل ما يبرر هذه الحقيقة النفسية من وجهها الاخر

من سوء حظ نصيب مع الباحثين ان الرواة لم
يحفظوا له قصيدة تامة مما قال - على كثرة ما قلتم -
اذ ان ماتحفله كتب الادب للشاعر الجيد لا يكاد يزيد
عما سجله صاحب الاغاني ، وهو مختارات مبتورة
من قصائد متنوعة غفارة تكون المختارات من المطالع ،
ونارة من الاوساط ، وربما يكون بعضها من الخوانيم ،
اما ان نجد قصيدة كاملة تعلي النموذج الاوئى لمذهب
الرجل في التخلص من معنى الى سواه ، وفي البناء الهندسي
الشامل لمختلف المعاني والافكار فذلك ما يتعذر ان
نراه ، وهو لا يمنع ان تنف معه وقفة منصفه ، اذ ان
ما بقي من آثاره ينبئ صادق النبا عن حقيقة معدنه ،
وهو معدن نفيس يكاد ينفرد بخصائص ذاتية تجد
رامدحا الدافق من اخلاص صاحبها وطبامعه ، واذا
كان من الشعراء من لاثني قصائدهم بمصادق طباعهم
لزييف في الصنعة او خداع في الانتباه ، فان نصيبا
لا يمت لهؤلاء بسبب ، وقد حرص الرواة على سرد
اخباره اكثر من حرصهم على سرد شعره ، فرائبهاها
تشف عن روح عالية تنوق الى ارفع درجات السمو
الانساني ، ثم اخذنا نتأمل ما بقي من شعره فلم نر
تناقضا ما بين القول والفعل بل اكد لنا طول النظر
فيما لدينا من شعر نصيب ان مفتاح اجادته انه يمتح
من بثر دافقة في اعماقه فهو لا يزال يخرج من ينابيعه كل

فوجد الأذان مصفاه ، واللسن بادحة ، وتأكد غميا بينه وبين نفسه انه اجتاز الإمتحان . وانسا أرجح ان نصيبا خان يمت الى العرب من عرق قريب لان عاطفته الحية وعقله الحصيف لم يكونا وقفا عليه في أسرته ، بل كانت أخته إمامة تشاركه الطرب للبيان ، وتقاسمه حصافة العقل مما ينبت أنهما ورثا هذين معا من أب موهوب لم يستطع في غابره ، ان يطفو بوهبه على السطح لبعض الموانع المعترضة ، كما استطاع نصيب في لاحقته ، فكان من المنطقي المقول ان يتجه الشاعر الى أخته إمامة يستعيرها ويسالها الرأي الناصح . وقد فوجئت به يطلب أصفاءها لشعره دون ان يقدم ذلك بنمهيذ يدفع عنها غراية ما سيفاجئها به ، فصاحت قائلة : انا لله وانا اليه راجعون . يا ابن ام اتجمع عليك الخصلتين ، سواد الوجه واستهزاء الناس . قال اسمعي أولا ، وأخذ يتشدد في قوة واستقامة ، فتهلل وجهها واشرق ، وصاحت به بابي انت ، احسنت كل الاحسان . فكان ذلك دليلا ثانيا يأخذ بعزم الشاعر ، ويدفعه الى الامام .

للشاعر : محمد رجب البوسوي

الاستاذ بكلية اللغة العربية — القاهرة

ولكن للشك المتردد هواجسه مما ترجح جانب اليقين ، لقد استوثق الشاعر من بني ضمرة وخزاعة ثم باركته أخته إمامة . وما زالت للشبهة سحب غائمة تعكر صفاء افقه ، فهو يريد جلاها بشهادة شاعر سابق لا يتزعزع . وان الفرزدق بالمدينة على خطوات منه ، فما لا يسمى اليه فينشده . لقد حسب نصيب ان الفرزدق من ذوي الانصاف والحيدة ، وما علم انه متعطر سمع متعال يربو بالشعر ان يتزل على العبيد ، فليس له في رايه الا الفحول من السادات . لقد قدم عليه العبد الناثيء يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، فما كاد يسمعه حتى صاح في وجهه : لست في شيء ، ان استطعت ان تكتم هذا على نفسك فافعل ، وبإلها صيحة بتكرة زلزلت قواعد الشاعر المنطوع ، فأبصر وجهه يرفض عرقا ، واستشعر قطرات من الدبح تبلل عينيه حزنا وجزعا . ولكن الله قد هبأ له من ناداه ليقول له أهذا لشعرك الذي اتشدته الفرزدق لا فيجيب بانكار نعم . فيقول المنادي : لقد حسدك الاحق ، اني لاعرف الناس بـ

ما نراه من التسايح المفرط مع ذوي الوجوه الحسان حتى ل نجد من يبرؤهم من الذنب وهم مذنبون ، وذلك بعض ما عساه ابو فراس الجداني حين قال :

اساء فزادته الاساءة حظوة

حبيب علي ما كان منه حبيب

بعد علي الماذنون ذنوبه

ومن اين اللوجه اللبح ذنوب

ولكن هذا العبد النوبي الاسود الثكالث ، قد رزق عاطفة حية ، وبينا عذبا مطريا ، وعقلا حصيفا محتلا ، وانه ليجد لديه دافعا قويا الى استهزاء الشعر وروايته ، فهو يحرص على ان يتزلف الى الرواة ، وان يقدم لهم من الخدمات الجسبية ما يعطفهم عليه ببعض الانتشاد ، ولعلمهم كانوا يضحكون في سرائرهم من هذا العبد الصغير الذي يحاول ان يتذوق أشجار الفحول . ولعله كان في اطوائه يعلم ان الشعر باب من ابواب الرفعة والسوق ، وقد اشتبه به عنتره الاسود ، فقسم اليه مثالا ناطقا على ان المبودية والسواد معا لا ينعان اجادة التصيد . ان هذا الطرب للشعر والهيام بروايته لدليل العاطفة الحية لدى الناثيء الضارب في البید وراء الأبل . وقد اخذت تنمو وتشب على الأيام حتى تصبح واندا صافيا لا عذب يتابع الشعر ، فاذا نصيب ينظم كما ينظم المشاهير من الشعراء . واذا الشعر يلا وجدائه ، ويرضى كبائه فيهنئ على ايقاعه ، ويشيدو بابائته . ولكن اين من يسمع بل من يطبق ان يسمع من عبد نوبي يريد ان يساجل الفحول . لقد رزق السلطنة الحية ، والبيان الطراب ، ولو اقتصر عليهما ما استطاع ان يطرب

بهما بعض ما يريد ، ولكن السماء حين وهبت العاطفة والبيان ، لم تضن عليه بالعقل الحصيف المحتال وبه فكر وقدر ، ثم فكر وقدر ، حتى نبوا مقعد صدق بين المشاهير .

كان الشاعر العبد في مجتمعه الطبقي يتخبط في ظلمات بعضها فوق بعض ، ولكن مصباح عقله كان دافعا امامه ينير له الطريق كيلا يصطدم بالعقاب ، انه ليقول الشعر حقا ، وانه ليحس انه يجيد ويبعد اذا قارن ما ينظم بما يسمع من الناس ، لعل شيئا خدعه فسول له ان يقول ، ثم اوهمه بانه يجيد ، لا بد ان يحتكم الى الملا في امره ، وما هم اولاء بنو ضمرة وشيخة خزاعة يتناشدون الشاعر في مجالسهم كل مساء ، وقد تعود ان يلم بهم فيسمع دون ان يتكلم . انه لا يجزؤ ان يعلن اليهم ميلاد شاعريته ، اذ ربما هجنوه ظالمين ، وبهتوه متعالمين ، فلا بد ان ينشد ما نظمه منهزوا لغيره ، ليعلم موقعه من نفوسهم . وهذا ما كان منه حين الم بهم في بعض امسياته ، فجهر بكل ما قال ، وقستر وراء اسم من الاسماء المشتهرة ،

النظر الانساني البعيد ، ولعله كان يعلم حقيقة ذلك من تدبائنه ومعاشره ، فقد اخص به قبل نصيب من المدينة شاعر مجيد هو امين الاسدي ، واراد الامير ان يجعل من قدوم العبد الاسود مفاجأة لشاعره ، فبعت بين يحضر امين اليه ، ثم ابتدره بقوله ترى كم يكون ثمن هذا العبد يا امين ؟ فغضب الشاعر نظره الى نصيب وصعد ثم هتف بالامير : لنعم الفادي في اثر الابل ، ارى ثمنه مائة دينار فغضب الامير قائلا انه شاعر يا امين ، فاربد وجه الشاعر المتعصب ثم سارع يقول ان يكون ثمنه ثلاثين دينارا لانه تكلف ما لا يحل به ، ومثله لا يحسن ان يقول ، فاشترى عبد العزيز الى نصيب فانشده قصيدته فامتعض غريبه لما قال ، وصاح بالامير هذا شعر اسود ، فاجابه صاحبه هو والله اشعر منك فانتجر امين يقول في غيظ انك ايها الامير طرف ملول . ولم يتحمل عبد العزيز اكثر مما سمع فجاهه الحاسد مجابهة جعلته يرحل عنه في اسف حاسد .

لو كان الشاعر صغير النفس ، شحيح الانسانية لاستجاب للامر حين عرض عليه ان يظل في كنفه منعما هادي البال دون ان يتكلف الرخيل ثانية الى تطارح القلة ومرايع العبودية وعليه ان يرسل ثمنه الى سيده ليصير من ارباب الحرية بهمر بعد ان يعتقه الامير . ولكن الشاعر كان قد آلى على نفسه ان يعود ليشترى ابيه واخذه ويتقدمه من الرق بها اخر من مال كما ينقد نفسه سواء بسواء ، وهي روح شابة تملأ على ان آفاق نفسه كانت تمتد الى آفاق حرية بيتها النور والبهاء . وقد اثر عبد العزيز ان يمهله بعض الوقت عله يرجع الى رايه فيؤثر البقاء ، ولكن الشاعر يستطيع ان يلين فؤاده بهتل قوله :

وان وراء ظهري يابن ليلى

اناسا ينظرون متى اووب

امامة منهم ولما تهيأ

فعدا البين في اترى غروب

تركت بلادها ونابت عنها

فأشبهه ما رايت بها السلوب

فاتبع بعضنا بعضا فلسنا

نثيك لكن الله المتيب

وهو استعطف رقيق احكم الشاعر صوغه في ساحة ورق ، فلم يسع الامير ان يثنيه عما يريد ، واجزل له العطاء ، فخف الى اهله فرحاً مفرداً ومعه معجزة الانقاذ ، وكان بهامته المالية تدفعه الى ان يبحث عن اتقاربه الاقصين ايضا لينعم عليهم بالحرية . فاي انسان هذا . لقد علم ان ابن خاله يسمى بسحيم يعاني الرق دون خلاص فاشتره

القصيد فاذع ثم اذع يا صاح . وكان الرجل قد مسح جراح الشاعر ببلسم شاف ، فرجع اليه ثباته وصمم على ان يركض في حلبه السباق بين الفرسان .

ترى اين يبدأ الصيال هذا الفتى الطوح ؟ لقد استمع الى عقله فاطال الاستماع . وقد حدثه عقله الحصيف ان باب الخليفة في دمشق يزحم عليه كيسار الفحول من امثال جرير والمزردق والاخلط وكثير وان من الاحزم ان يمدل عن دبتق الى مصر فما عبيد

العزير بن مروان وهو كعبد الملك ممن يجزلون العطاء لمن يجيد . وليس على بابيه من شعراء الاول الا من يغدون مرة او مرتين ثم لا يعودون . فلعله يصادف موضع الخطوة من عبد العزيز وهو كافيته ان نظر اليه بعين التقدير . وقد استراح نصيب الى ما ارتأى فاخذ يضرب المهامه من المدينة الى مصر حتى وجد نفسه ذات ضحوة امام قصر الامير بخلوان . ورأى الناس ينظرون الى وجهه الاسود فيطيلون . فاستشعر تصوره العاجز واحس بربرة الاخفاق تملأ حلقه ولكنه تجرأ واستجمع حتى الم بالحاجب فسأله ان ياذن له كي ينشد الامير مدحته . ونظر اليه الحاجب ساخرًا متعجباً ، ثم جابهه بالرغض الصريح .

انضيق الامل هكذا في طرفة عين ؟ علام تكبد حول السرى في الليالي ذوات العدد بالسحاري المهددة ما بين مصر والمدينة حتى يحجب في بهانة واستهتار ، انه يلجأ الى مقربة منه رجلاً جبراً يبدو عليه سمات الجاه والثراء فيقع في خاطره ان يستفتح به كي يوصله بهجس الامير . وان الرجل ليسمى للعبد الضارع متعجباً ومستبعداً ان يحسن مثله القول ثم يسأله ان ينظم ابائنا في بعض الاغراض ليعرف اصداق ام دعى . فنجيب نصيب في احتفال ، ويختار قافية مجلجلة ذات رنين ، فيسهل الصعب على يد الرجل وينتقم نصيب لينشد الامير .

كان عبد العزيز راوية يتذوق اطبايب الكلام ، وخبره يرجع الى نفسه في حكيه ، وليس الشعر لديه زينة مكلمة لجلسه ، بل حاجة ضرورية من حاجات نفسه ، وضروريات امارته ، واذا كان الشعراء في دمشق يهتفون بالآء اخيه عبد الملك امير المؤمنين ، فان اعزله بهمر لا يحول دون ان ينافس اخاه منافسة فاعيلة يكون الشعر احد اسلحتها الماضية . وقد استمع الى نصيب فصادف عنده طبعاً واصالة على غير ما توقع حين طالعه بمرآه ، وقد كان اسود العبد ودمباته مع اجادته وقوته ، مما ضاعف منزلته لدى هذا الامير المندوق ، ولاول مرة يجد الشاعر رجلاً كبيراً . يرى سواده الاحم مما يحسب له لا مما يحسب عليه . ولكن قل من شارك عبد العزيز هذا

واعتقه ثم مر به ذات ليلة فوجده يزعم وزير مع
رعاع السودان فانكر ذلك عليه وزجره ، فقال له
سحيم : ان كنت اعتقني لآكون كما تريد فهذا والله ما
لا يكون أبداً وان كنت اعتقني لتصل رجلي ، وتقضي
حقي فما افعله هو ما أريده ، أزين وارقص وأزمر
كما أشاء ، فناهو نصيب تأويهة حارة لما يسمع .
ثم قال في غيظ :

اني اراني لسحيم قاتلا
ان سحيم لم يبينني طائلا
نسبت اعمالي لك الرواحلا
وفري الابواب فيك سائلا
عند الملوك استتيب القاتلا
حتى اذا انتست عتقا عاجلا
ولييتي منك القفا والكاھلا
اخلقا شكسا ولونا حائلا

ونصيب - كما أرى - كان متسرعا في لوم
صاحبه ، لانه أراد ان يحمله على فضل عقله وان يرفع
ابن خالته الى مستواه الانساني ، وليست النفوس
بمنشأبة حتى يصبح سحيم بمجرد عتقه انسانا
ذا همة وطوح ؛ لقد كان يجد سمادته في الرقص
والزمر مع لذاته من السودان ، وليست الحرية
غير حدث طاريء لا يستطيع ان يجتبى بها تامل من
الرواسب في اعمائه ، فكيف يحاول نصيب ان
يزوده عن بعض وسائل سعادته ؟ على ان الحرية
البالغة في قول نصيب « اخلقا شكسا ولونا حائلا »
فهي تصور عقدة اللون وبدي تأملها في نفسه اذ يرى
ان صاحب اللون الضال يزدرى من التلون الجردا فلو
فكيف يعينهم على ازدرائه بسوء الخلق ، وهذا ما
حاول الشاعر جهده ان يبرأ منه فيتسامى عن الضعة
بما ترفده مكارم الاخلاق من سمات .

على ان نصيبا كان دليلا حيا على ان السلوك
الانساني لا يرتفع بيباض اللون ولا ينحدر بسواده ،
وما هنات السود في تفسيرها العادل الاجرائ ما
جليه عليهم الرق الغاصب من احوال ، لقد نشأوا
ليجدوا انفسهم عبيدا يضربون ويمتهنون ولا يصحبون
غير الابل والدواب . ولو اتسموا التربية الفاضلة لكان
منهم ائذاذ الرجال وقادة الشعوب كما يكون من
البيض دون اختلاف . وهذا نصيب يفضل بسلوكه
عشرات الناس ومئاتهم من معاصريه . وقد استطاع
ان ينهض من منحدره المظلم ليكون صاحب الخطوة لدى
الرؤساء . لقد كان انيق اللبس نظيف الزي حسن
الشارة يلبس الثياب اللبوة ويتعطر بالطيب ،
وكان صدوقا لا يتكلف التزود والاغراق سائله مسائل
ماذا قال عنك عبدالعزيز بن مروان فاجاب قال لي
انت اشعر اهل جلدك ، فقال له صاحبه وهل

رضيت بذلك فاجاب في صدق : وددت والله لو زاد
في قوله ولكنه لم يفعل . وكان عبد العزيز قد فسرق
الحياة حينئذ وفي طوق نصيب ان يفري عيبارات
المذبح دون مكذب . ولكنه الخلق النظيف . ولكنه كان
يشعر في اعمائه ان له حدا يجب ان يقف عنده فلا
يطمح الى ما ينال سواء من ملذات . دعاه عبد الملك
ابن مروان الى منادته . وتلك هي التي لا منزلة فوقها
لشاعر في البلاط وبها بلغ الاخطى والاصيب الاخطى
ما بلغوا من السيطرة والجاه . فقال نصيب في ادب:
لوني حائل وشعري مفلل ولم ابلغ ما بلغت من اكرام
امير المؤمنين بشرف اب او ام او عشيرة . وانها بلغت
بعقلي ولسانتي فأتشدك الله يا امير المؤمنين الا تحول
بيني وبين عقل يذهب به الشراب . فاعفا عبد الملك
مما كان يريد . وقد قيل له ان نسوة بالمعيق يردن
لقاكا فنأوه في حيرة وقال وما يصنعن بي ؟ جلدة
سوداء وشعر مفلل ، فقبل له يردن ان يسمعن شمر
فقال يسمعن من وراء ستر . لذلك نجده غيورا
اعظم الغيرة في مودته . لقد تمكنت منه فتاة لعوب
كانت تخفي عنه صلتها بسواه ، فحين وقف على ابرها
يسادر بهجرانها ينسج في هدوء يستسلم وكأنه يرى
نفسه لا ينهض بمافسدة ما في ميسادين الصبابة .
فليجاهرها بقوله :

ارك طوح العين مباله الهوى
لهذا وهذا منك ود ملاطف
فان تمسلي وتضمين لا ك منهمما
فنجبي فرد لست ممن يرادف
فما تظن اهل يتعذر عليك الشعر في بعض
الاحيان ، فلم يشأ ان يتجسس بالباطل فيعلم انه ينظم
مضى يشاء ولكنه قال في ادب اي والله لربما فعلت
فامر براحتي فيشد بها رجلي ثم اسير في التسعاب
الخالية واقف في الرضاع القوية فيطربني ذلك ويفتح
لي الشعر والله اني على ذلك ما قلت بينا قط تستحي
الفناء الحية من انشاده في ستر ايها . هكذا ! هكذا !
ادب في القول وادب في العقل . وسدق في الاتجاه
واخلاص لما يوحي به التبل الطوح .

ولا بد ان نقف لحظات عند غزل نصيب . فالسروا
والادباء يذكرون انه كان يجيد النسيب . ولكنه مع
ذلك لا يعفونه مع ناسبي عصره . فلا يذكرونه مع
جميل وكثير والرجي وابن الطرية وابن المدينة - فاذا
كان ذلك لانه لم يقصر فنه الشعري على النسيب
كما فعل جميل وقيس مثلا ، فكثير لم يقصر فنه الشعري
على النسيب بل تعداه الى المدح الشخصي واللمح
السياسي . ولم يمنعه ذلك ان يكون في مقدمة الغزلين .
مع ان قناريء ما بقي من نسيب نصيب يلمس به وقدة
حارة تشع عن صدق صريح . وقد يكون هذا

طائلا يتحدث عنه ، وكذلك كان نصيب في غزله ، فهو يتحدث عن ليل منع سعد فيه بغيته . اتدرون ما هذه البغية التي سعد بها ، انها طيف حبيبته يزوره في النوم فيودعه ويستعنيه ، ويذيع اليه حاجة تحملها طول الزمان وطالما اسرها عن الناس ، في صدر بها يتصدع . غيا لله مما يتحمل هذا المصدر من سر لا يلم به انسان . ذلك ما نريد ان نلفت النظر اليه ، في قوله :

فياك من ليل تهتمت طولها

وهل طائف من نائم مقتمع
نعم ان ذا شجو متى يلق شجوه

— ولو نائما — مستعقب او مودع
له حاجة قد طالما قد اسرها

من الناس في صدر بها يستصدع
تحملها طول الزمان لعلها

يكون لها يوما من الدهر منزع
وقد قرعت في ام عمرو لي العصا

قديما كما كانت لذي الحلم ترقع
وقول نصيب « قرعت في ام عمرو لي العصا »

بصور متدار ما يتخيله من الزواجر النهائية عن غرام خطه بمصاحبه ، فقد قرعت له العصا ، كما تفرع للصبى حين يبلغ الحلم ، وهو ان تغافل عن ذلك

بأخوه فمصابغ عن قريب . وقد كان غرامه من القوة بحيث كابد رهقا اي رهق في تناسيه فلم يبلغ من ذلك

طائلا . فتنبه له لاهل معشوقته ، وعينه لا تستطيع ان ترصد عن مكافئ وجهها فكيف يكون الناسي مع

الاعمال

فلا النفس ملتها ولا العين تنتهي
اليها سوى في الطرف عنها فترجع

رائها فما ترتد عنها سامة
ترى بدلا منها به النفس تقنع

وهذا الشعر انكى واودع من ان يدل على لبهه
المستطير . وكذلك قوله :

اتصبر عن سعدي وانت صبور
وانت بحسن الصبر منك جدير

وكنت ولم اخلق من الطير ان بدا
سنا بارق نحو الحجاز اطيير

وقوله من كلام جيد مطبوع :
تمر الليالي ما مرور ولا ارى

مرور الليالي منسياتي ابنة النضر
اما والذي حج الملبسون بينه

وعظم ايام الناسك والتحر
لقد زادني للجفر حبا واهله

ليال اقامتهن ليلى على الجفر

الاغفال الملحوظ في امر نصيب لانه لم يشتهر شهرة مستفيضة بمعشوقة تضرب بها الامثال كما اشتهر تيس بللى وجبل بيتينة وكثير بغزة ، ولكن اخفاء المعشوقة عن الانتظار ، وانقطاع امورها الشخصية قد يكون له من الاسباب ما يعقل ويقل ، فمثل نصيب في شدة حبه ووفرة تحفظه لا يجرؤ ان يشي بذكر حبيبته ، لانه — وراء عقده الخاصة — يعرف ان كائنه من كانت من ذوات الجبال لا يشرها كثيرا ان يواها عبد اسود نائى الحجرة ، فمثل الشعر مباح للعارضين ، ومن مصائب الصباية ان التشويه الخلقى مما يضاعف الحب ويؤججه اذ ان بواعث الحرمان لا تطفى غير الحب العارض للشاعر عابث ، اما الحب المتاصل الشاعر صادق فان بواعث الهجران ، وادمان الحرمان مما يجعله جذى تشتمل ، ولها يتشظى . وقد روى الرواة ان عبد الملك سمع قول نصيب :

اهيم بدعد ما حييت فان امت

فيا ويح دعد من يهيم بها بعدي
فقال ما اسخف نصيبا ان قال :

اهيم بدعد ما حييت فان امت

فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي
وتقد عبد الملك قد انصب على البيت ، حين غفل

عن حقيقة كبيرة هي ان دعدا هذه لم تكن من الفئة بحيث يطرح لها انظار الاسوياء من الناس ، ولكنها

فتاة على غير حظ واخر من الحسن ، وقد قيلت من نصيب ان يشيد بها لتصبح من يقل يهن العزل ، وهو في اعماقه يستشعر انها حسناء بالنسبة له وحده ،

لذلك استعبد ان يهيم بها غيره . وقد جاء هذا على لسانه عفوا دون ان يغفل الى بعيد دلالته . وهذه

الفئة المتواضعة فيما استنتج هي التي كان يترصد طريقته في المخذى والمراج ، وهي التي غفلت عليه

فشاركته الذم ، وقال في بعض امره معها :

وقفت لها كما تمر لعلني

اخالسها التسليم ان لم تسلم
ولما رائتي والوشاح تصدرت

مدامها خوفا ولم تتكلم
مساكين اهل العشق ما كنت اشترى

حياة جميع الماشقين بدرهم !
وان هذا الحذر البالغ في اعلان شوقه ليصع

عنه قوله :
ولولا ان يقال صبا نصيب

لقلت بنفسي الثنا الصفار

فهو اذن يخاف حديث المتدر بصوته المتكلم بهواه . وان اشتعلت النار في طواياه ، والعاشق المحروم دائيا يرضى بها دوق القليل ، ويعتده شيئا

فهل يؤمنني الله انى ذكرتها

وعملت اصحابي بها ليلة التفر

على ان ما بقى لدينا من اخبار نصيب يؤكد انه كان يرى نفسه من شعراء النسيب والغزل لا شعراء الخبيث والجهلاء ، فهو الى ان يذكر مع جميل وكثير وابن ربيعة اقرب منه الى ان يذكر مع جرير والفرزدق والاخلط ، قال يحدث بن عبد ربه « دخلت مسجد الكوفة فرايت رجلا لم ار قط مثله ولا اشد سوادا منه ، ولا اتقى ثيابا منه ولا احسن زيا فسالت عنه فقيل هذا نصيب ، فذوت منه فحدثته ثم قلت له : اخبرني عنك وعن اصحابك فقال : جميل امامنا ، وعمر بن ابي ربيعة اوصفنا لرايت الحال ، وكثير ابكنا على الدمن وامدحنا للبلوك واما انا فقد قلت ما سمعت « فهو يسال عن اصحابه فلا يذكر غير اصحاب الغزل والنسيب . وما تمنع من ان يرفع الراية ويعلل له اللراء في هذه الحلية الا ما يلهمه من قصوره الذاتية ، وفقد الاسلحة البائرة في معركة تخفق فيها الدابة والسواد لا عند الحصان فقط به عند كل من يسمع بأمره من الناس ، وفي بعض روايات صاحب الاساني من اخباره ، ما يفصح عن ذلك باجلى بيان . قال انيس بن ربيعة الاسدي غدوت يوما الى ابي عبيدة بن عبدالله بن زعبة ومعه محمد بالرجبة فالفيت عنده جباصة منا ومن غزاة ففناه آت فقال ، ذلك النصيب بالفرش (مكان بين المدينة وبدر) منذ ثلاث تمثيل مقلود ، وكأله والى اثر قوم طاعنين ، فنهض ابو عبيدة ونهضت معه ففناه ففناه نصيب على المنحر من صفر فلما عايننا وعرف ابا عبيدة هبط ، فسأله عن امره ، فاجابه انه تبع قوما سائرين وانه وجد آثارهم ومعلمهم بالفرش فاستقلوه لذلك فضحك ابو عبيدة والقوم وقالوا له : انما يهتر اذا عشق من انتسب غزريا ، اما انت فما لك وهذا ؟ فاستحيا وسكن .

وموضع الشاهد في هذه الرواية قول ابي عبيدة انما يهتر اذا عشق من انتسب غزريا اما انت فما لك وهذا ، فالناس لا يتصورون ان يعشق نوبي اسود مثل نصيب . والشاعر يعرف حقيقة تصوره هذا فيجتهد في اخفاء صباهته كيلا يكون اضحوكا الماثنين . وقد غلبه وحده ذات مرة فصرح ببلاؤه لابي عبيدة فسمع منه ما توقع ان يسمع . وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الموقف ان يختم بقول الراوي عن نصيب « فاستحيا وسكن » اما انه استحيا فذلك ما لا شك فيه ، واما انه قد سكن فهو سكن مسطنع تليه طبيعة نصيب في انتاذ الحزم . وماكبدة الهول خضوعا لعرف الناس ، وبها لا من سكن ظاهر يتدلج تحته البركان . وبهذا اجتهد الشاعر الكتوم في اخفاء صوته فهي من القوة

بحيث تغليه على امره لا في مجال الغزل الخالص وحده ، بل حتى في الحديث العابر عن الدمن والاطلال ، فانت اذا وقفت مع الشاعر امام ما قيل في بكاء الديار فانتك واجد لديه من الحرة والشجن ما لا تجد لدى عشرات من ارباب الصناعة المفروضة ، ولك ان تقر ما مي قوله المتناع :

فقا اخوي ان الدار ليست

كما كانت بمعهدكما تكون

ليالي تعلمان . وآل ليلى

قطبين الدار فاحتمل القطبين

فعوجا فانظرا اتبين عما

فظلا واقفين وظل دمعني

على خدي تجود به الجفون

فلولا ان رايت الناس منها

بدا ان كدت ترشق المعيون

فرحت فلم يلمسك الناس فيها

ولم تفلق كما غلق الرهين

وهو قول مؤثر نفسا اخذ بلب عمر بن عبد العزيز محال تصيبا لينشده اياه ثم قال له : لقد كان شيطانك في هذه الابيات ناصحا حين لغتك ما تقول .

ولم ينس نصيب في لحظة ما من لحظات حياته بعد ان غفل وشارك في باساء الحياة وتعبها ما جباصة سواد عليه مكان يمهده الحائل الاول دون اساني الحياة من عالية وهابطة ، وقد استنطاع في هذه الدوائر ان يحقق كثيرا مما كان يريد . ولكن رغبة انتراخ جلده عن نفسه لا مجال الى تحقيقها فهي التي لا تحذف الا بفاته وانتقال روحه الى ملها السماوي . ومن نكد الايام ان معاصريه وادائه - فضلا عن معضبه - لا يرحمون شعوره النفسي بل كانوا لا يزالون يتكلمون جراحه بها يسرفون فيه من سؤال تارة حساسية والذوق . والشاعر متخضع يتسبر رد ويعمل له ، فاذا قال له نائل ايها العبد مالك وللشعر اطرق في اسف ثم قال محيا : ايا قولك عبد فما ولدت الا وانا حر ولدت اهل طلوبوني فباعوني ، واما السواد فانا الذي اتول :

وان اك حالكا لوني فاني

بمقل غير ذي سقط وعاء

وما نزلت بي الحاجبات الا

وقى عرضي من الطمع الحياء

واذا داعب جارية في احدى نزواته العابرة صاحبت به اليك متي فوالله لكانك من طوارق الليل فيتكلف الاستحيا ثم يقول : وانت والله لكنت من طوارق النهار . ثم يغتم بقوله :

بين الثغر والحد...

ناولتها شبه خديها معتقة
خمرًا كان سناها ضوء مقياس
فقبلتها وقالت وهي ضاحكة
وكيف تسقي خدود الناس للناس
قلت أشربي أنها دمعي وحرتها
دمي وطابخها في الكأس أنفاسي
قالت اذا كنت من حبي بكيت دما
فستقيها على العينين والراس
يا ليلة بات فيها البدر معتقي
وباتت الشمس فيها بعض جلالي
وبت مستغنيا بالثغر عن قدح
وبالخدود عن التفاح والآس
تيم بن المعز الفاطمي

داد

قال التلميذ الفتى لاسناده الشيخ

— قلت لي انها كالخمر ، ترويك وتطويك ، وانها
كالزهر برضيك ويؤذك ، وكالمصباح النار
في نوره ؟؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى

— لان الشمول في شئائها ، والفيل في غلائلها ،
والنار والنور في الروح والجسد .

امين يوسف غراب

نصيب الأموي شاعر يطمح للكمال

وانك حالكا فابلسك اصوي
وما لسواد جلدي من دواء

ولي كرم عن الفحشاء ناء
كيمد الارض من جو السماء
وقد سئل بمسجد الكوفة عن صورته في الهجاء
فقال ما معناه اذا كنت استطيع ان امدح غائبا
استطيع ان اهجو لاني احسن ان اجمل مكان عافاك
الله ، اخذك الله .

ثم تعرض الأستاذ المقاد الى هذا القول ليسلط
عليه تحليله الكاشف فينقضه بقوله « هذا كلام حسن
يدل على خلق كريم ، ولكنه لا يصلح لتمثيل القصور
في الهجاء ، فان الشاعر الذي يجيد المدح لا يلزم
من قدرته عليه انه تآدر على نقضه ، اذ كانت فنون
الشعر ترجع الى دواعيها وبواعثها ، ولا ترجع
الى مقابلة النقيض ، وليس يلزم ان يتوافق في الخلق
بواعث السخط والنقمة والزراية كما تتوافر فيها
بواعث الشكر والرضاء والثناء وشأن الشاعر في
هذا كشأن المصور والموسيقي وسائر الفنانين
الفنون ، وقد يولع المصور بتمثيل العماثر والقصور
ولا يأتي بشيء في تمثيل الطلول والقنار ، وقد يحسن
الموسيقي ان يفرح السامعين بانغام ولا يحسن ان
يخزنهم ويشجيهم ، وقد يعرف الشاعر اساليب التعظيم ،
ولا يعرف اساليب القدح والتشهير ، وقد تنطبع
سجيته على اريحية الحد والمودة ، ولا تنطبع على
خليفة النقمة والتفتيح عن الميؤب ، فانها جميعا
بواعث شعور وأخلاق لا تتقابل كما تتقابل الصفات
والآراء في المنطق والتفكير ، ولو صبح رأي نصيب لكان
اقدّر الشعراء على المديح اقدرهم على الهجاء وهو غير
صحيح » .

وانا ارى مع ذلك كله ان اهتماد نصيب عن
الهجاء مما يحسب له بالتقياس الى عصره ، فلم تكن
اهاجي معاصريه في النقائض ، معارض للفن المعالي
بتقدر ما كانت سوءات قبيحة تكشف للناس ، وهذا
ما استخلصه في مقام آخر ببعض التوضيح .

د - محمد رجب البيومي

كلية اللغة العربية — جامعة الأزهر — القاهرة

لاني تغيرت

تريدين مني الحال
لاني تغيرت يا طفلي
فعودي ولا ترهقيني
بهذا السؤال

لاني اضعف من ان اقول :
تغيرت يا طفلي
مألف (تعال)

تقولينها للرياح الشديدة
بارضي البعيدة
وليست لانني .. لاني

تغيرت يا طفلي
واني اقتلعت جذور الخيال
فما عدت تطربني منك كلمة
فكل كلامك زيف

وما عدت تسكرني منك حلم
فكل كؤوسك طيف
واني تغيرت يا طفلي
لانك انثى .. ككل النساء

لانك انثى وغدر العذارى
يمور بأعراذك المجذبة
ودنيا رياء
تتشعث في عينك المتعبه

لانك سكرى ولا كالسكرى
صحوت على طعنة الانتقام
فاي (احبك) .. أي (تعال)

واني لست كما تعهدين
من العطف والحب والامثال
فاني تغيرت حين انتقمتم

فانت أمامي انثى
أرى كل سوءاتها
وأرنو بمرآتها

فتبدو أمامي كآبة انثى
وما عدت ملكتي المقلقة
أقبل جدرانها
وأستاف أركانها

وأكتب شعري على بابها
وأتلو صلاتي بمحرابها
لانك ملكتي المقلقة
وحريتي المطلقة

ولكن هدمتك حين انتقمتم
لانك بالفدر يا طفلي
هدمت الهوى
وسحقت المهود

فما كنت أملك في حيرتي
سوى الانتقام
وها أنا في نشوتي
فلا تقسديها علي بدمعه

بآخر خدعه
بأهه ..
بسحر ابتسام
تثير بنفسي رماد الجوى

فاخشى ... أعود
الى عشنا مثل عود الحمام
لاني منذ انتقمتم
ثمالة روح

وهيكال قلب
وبقيما انتقام
فعودي .. ولا تقسدي نشوتي
بأدراج هذا السؤال

أعود اليك ..؟؟
تريدين مني الحال
لاني تغيرت يا طفلي

شعر
محمد
سين
أل ياسين

رأى في كتاب

الشعر العربي المعاصر

قضاياه ، وظواهره الفنية والمعنوية

للدكتور عبد الله بن سعيد

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

بين غن الكلمة من حيث هو غن زمني
كفن الموسيقى ، وبين الفنون المكانية
المرفعة كالرسم والتصوير والنحت .
وفي الفصل الثاني من هذا
الباب « قضايا الاطوار الموسيقي
الجديد للقصيدة » يحدد اشكال
التجديد والتطور في موسيقى الشعر
المعاصر بثلاث مراحل اساسية ،
مرحلة البيت الشعري ، ثم مرحلة
السطر الشعري ثم مرحلة الجيلة
الشعرية .

ولا ينسى في هذا الفصل ان
يتحدث عن ظاهرة النظام ، وهل
هو الجبال ؟ وقد جعلته مناقشة هذه
الظاهرة عى ان يعيش في القضايا
الفلسفية التي تتبع منها .
وفي الفصل الثالث « تشكيل
الصورة في الشعر المعاصر » يحاول

٢ - الرباط الشاعر الجديد بأحداث
عصره ، وقضاياه .

٣ - الشاعر المعاصر ، لا بد ان يكون
متقنا باوسع معاني الثقافة .

واما الباب الاول « قضايا
وظواهر فنية » فقد قسم الى ثلاثة
فصول :

الفصل الاول : « التشكيل
الموسيقي لتجربة الشعر الجديد »
وما دام الكاتب في مجال هذا التشكيل
فلم ينس وفاء للتاريخ ان يتحدث عن
مدرسة العقاد ، وشكري ، والمازني
موضحا انها بداية ، او عهد للشعر
الجديد ، لان هذه المدرسة قدمت
بشعرها حيلة شعورية ، تبرز
معاناة الانسان للحياة ، ويسندها
عقل حصيف ، وذكاء لم يح وقد عقد
المؤلف في هذا الفصل موازنة طويلة

رسم الكاتب لهذا الموضوع
بنهاج اخرجه في مدخل ، وثلاثة
ابواب : اما المدخل ، فقد تحدث فيه
عن « الشعر بين العصرية والتراث »
بيننا معنى المعاصرة ، وعلاقة الشعر
المعاصر بالتراث ، وقدم لنا نماذج
توضح هذه العلاقة .

وحديث المؤلف عن العصرية
تناول الدعوة التي تدعو الى العصرية
المطلقة ، وناقضها فبيننا انها دعوة
فائسلة كقتيل المصرية التي دعا
اليها ابو نواس حينما خرج على
تقاليد الشعر العربي .

والخطوط الاساسية لهذه
العصرية ايهما في نظر المؤلف :

١ - التجربة الجمالية للشعر المعاصر
وهي التجربة المائلة في حركة
التجديد .

لان المدنية رمز للحضارة الانسانية الحديثة ، وان الشعراء عانوا من هذه الحضارة ما عانوا ، فجاء شعرهم من وحي هذه المعاناة .

وفي الفصل الثاني استطاع المؤلف ان يعرض لظاهرة الحزن في الشعر المعاصر وقد ارجع هذه الظاهرة الى المعرفة ، فهي مصدر الإحزان ، ذلك لان تحصيل المعرفة منفعة في ذاته ، ولكنك قد تصل الى مرحلة لا بد ان تقي على نفسك فيها هذا السؤال : ثم ماذا بعد ذلك ؟ ان الابل يبقى دائما معلقا بالشئ الجديد ، الشئ البكر ، والى ان يحدث هذا لا بد ان يشي الضجر بالنفوس ويخلق لها التماسا .

والفصل الاخير من هذا الباب ، وان شئت فقل من هذا الكتاب عنوانه « الالتزام والثورية » وقد وضع في هذا الفصل ميزانا حسابا للاديب الحق ، فالاديب الحق هو الذي يواجه نفسه ومجتمعه بضمير واحد ، لانه يحس ان مشكلته لا تنفصل عن مشكلات الناس ومن اجل هذا تسبب حديثه في هذا الفصل عن « الفن والمجتمع » وعن « الفن والعقيدة » .

وبعد ، فان هذا الكتاب ينزل فيه صاحبه جهدا مشكورا غير ان هناك بعض ملاحظات ظهرت لي أثناء قراءته :

من هذه الملاحظات ان المؤلف في مدخل كتابه « الشعر بين العصرية والنراث » اطل في معنى العصرية ، واقتسابها ، وسبائها ، وهو طول مريب ، وبخاصة في المقدمات ، او في الداخل ، لان المقدمة في نظري خطوط عريضة تشير الى المنهج في ايجاز . اما الشرح والاطناب فذلك يحسن في لمصول الكتاب وابوابه وقد غالى المؤلف مغالاة غير محبودة في نظري حيث ذكر ان التراث العربي من حيث هو جوهر لم يظفر بتقدير ، وحسن فهم ، واستيعاب من الشعراء قدر ما يظفر به من شعراء التجربة

امكن للمؤلف ان يرجعها الى علاقة الانسان بالكون ، وعلاقته بالله ، وعلاقته بالانسان نفسه ، ومن ثم ارتبط الرمز بالدين او بالعقيدة . ولم ينس المؤلف حين تناوله لظاهرة الاسطورة ان يتحدث عن نشأتها ، عن علاقتها بالفكر ، عن استقامتها الخ وذلك في « الفصل الثالث من هذا الباب »

واما الفصل الرابع فقد خصصه لدراسة « معيارية الشعرية المعاصر » ويقصد بالمعيارية بناء العمل الفني في القصيدة ، وقد بين لنا في هذا الفصل ان معيارية القصيدة قد تطورت على ايدي الشعراء في الاتجاه السدراي ، واستمر خط التطور بالمعيارية الجديدة في هذا الاتجاه الى ان اتخذت القصيدة الاولى الاطار المسرحي الكامل ، كبرجية (جيملة) لمعد الرحين الشراوي والفتى مهران ومسرحية الحلاج لمصالح عبد المصور والفصل الخامس والاخير من هذا الباب عنوانه « النزعة الدرامية » والنزعة الدرامية في رأي المؤلف ، هي ذلك اللون من التفكير لا يسير في اتجاه واحد ، وانما يأخذ دائما في التغير ان كل فن له طبيعته فكرة ، وان كل ظاهر يستخفي وراءه باطن .

والباب الثالث من هذا الكتاب وهو الباب الاخير اتخذ له عنوانا هو « قضايا وظواهر معنوية » . وقد ادار الحديث في الفصل الاول عن « الشاعر والمدنية » ووضح السر في هذا الاهتمام بالمدنية

المؤلف ان يقتنما بمقدمات طويلة ان الشاعر كالطفل يحب الوان الطبيعة واشكالها ، وقد انتهى الى هذه النتيجة بعد حديث طويل عن التشكيل المكاني في القصيدة ، وان القصيدة الجديدة هي التي تخضع للطبيعة لحركة النفس ، وان الشاعر فنان والفنان يلون الاشياء بدمه ، ولكن كيف يخضع الشاعر الطبيعة لحركة النفس ، وحركة النفس توج بشئ الافكار ، ومختلف العواطف والمشاعر ؟ وقد حاول المؤلف ان يلائم بين الفكر والطبيعة ، لانه من هذه اللامعة ، او من هذه المعانقة على حد تعبيره تبرز لنا صورة حية ترتبط فيها النفس بالطبيعة او بالوجود ، ومن ثم تحدث اثرها الجذاب في العين القارئة او الاذن السميعة .

والباب الثاني من هذا الكتاب عنوانه : « قضايا وظواهر فنية ومعنوية » وقد ضم هذا الباب اربعة فصول :

الفصل الاول : « المصطلح الجديد ، وظاهرة الغموض » وقد تحدث فيه عن اللغة عن قيمتها ومكانتها ، ثم يعرض بعد ذلك لظاهرة الغموض محللا هذه الظاهرة في صفحات عديدة ، خلاصتها ان الشاعر يدرك الاشياء ادراكا ابعد مدى مما تصنع ، ومن هنا يذهب الى الاختراع والاختراع خيال ، ومنطق الخيال غير منطوق الواقع ، وعند ذلك يلعب المجاز الدور الاول ، فاذا للكلمات من حيث دلالتها ابعاد جديدة واذا الصور رموز اخترعها الخيال للافكار .

وسيلتنا هذا الفصل الى الفصل الثاني « الرمز والاسطورة » وبما لا شك فيه ان هناك تداخلا بين هذا الفصل ، والفصل الذي سبقه فظاهرة الغموض حينما تبلغ قيمتها تصبح رمزا ، والاكتار و استخدام الرمز من الظواهر الفنية الالفة للنظر في تجربة الشعر الجديد . على ان هذه الرموز محاولات

بقلم
الدكتور
عبدالمعالي
سالم علي
مكرم

جامعة الكويت - قسم اللغة العربية

الجديدة ، وقد استند في هذا القول الى مسرحية : « مأساة الحلاج » لصالح عبد الصبور .

وفي رأيي ان المؤلف فنته هذا الشعر الجديد ، فقال ما قال ، بمغضا عنه من الحقيقة التي تؤكد ان الشعراء العرب ، شعراء القصيدة التقليدية قد وعوا بهذا التراث وخطوه وسجلوه أكثر من شعراء التجربة الجديدة ، وأذكر في هذا المقام مسرحيات شوقي ، ومسرحيات عزيز إبانة تلك المسرحيات التي مثلت على مسارح القاهرة وغيرها فترة من الزمن كانت فيها مسرحية الحلاج في ضيق الغيب لم تولد بعد .

وفي نظر المؤلف ان الشاعر المعاصر هو الذي ترتبط نفسه بمبادئ عصره سواء في البيئة المحلية المحدودة او في البيئة العالمية ، وكأنه بهذا القول ينفي صفة العصرية عن الشعر العربي التقليدي ، وهو معنى لا يستند الى حجة ، او يؤدي الى ركن شديد ذلك لان الشعر العربي كان طوال حياته منذ عرفناه ، في الجاهلية والاسلام ، وفي المصور التي جاءت من بعده حتى عصرنا الحاضر شعرا يتصل بالحياة ، وما أكثر هذه العبارة التي ترددت في كتب تاريخ الادب : « الشاعر ابن البيئة » وفي هذه العبارة ما يؤكد العصرية ، ويوضح العلاقة بين الشاعر والحياة .

ومن هذه الملاحظات : انه يقرر في الفصل الاول من الباب الاول حينما تحدث عن التشكيل الموسيقي تجربة الشعر الجديد - يقرر ان مدرسة العقاد وشكري والمازني كانت بداية او تمهيدا للشعر الجديد الا ان هذه المدرسة قدمت بشعرها حصيللة شعورية تبرز معاناة الانسان للحياة . هذه المعاناة الانسانية بداية للشعر الجديد ، فاننا نرجع هذه البداية في غير تحفظ الى العصر العباسي حيث ظهر على مسرح الشعر الانساني شاعران كان لهما دوي كبير

في عصرهما ، وفي المصور التي تلتها ، هذان الشاعران هما المنهبي وتلميذه المري فكل الاوصاف التي اضافها المؤلف على مدرسة العقاد ، وشكري والمازني تصدق على هذين الشاعرين لانها تفاعلا مع الحياة بكل ما فيها ، هذا التفاعل الذي يسنده العقل الحصيف ، والذكاء اللامع .

هذا ، وقد أعجبني من المؤلف في هذا الفصل نقده للشعر الجديد الذي صب في قوالب الشعر القديم وأورد مثالا منبه تصديده يخلل للتراث انها جديدة في مادها الموسيقي ولكنها في حقيقة الامر تحل نفس التفاعلات القديمة التقليدية للشعر العربي التقليدي وجيئها على هذه الصورة تويه يقصد به التضييل .

ومن هذه الملاحظات : عرضه لنهاج عديدة من صور الشعر المعاصر الذي خرج عن الاطار القديم للقصيدة ، وقد دارت هذه النهاج حول شعر احمد عبد المعطي حجازي ولو لم يكن عنوان الكتاب « الشعر العربي المعاصر » لقلنا ذلك ولكن من حقنا ان نتساءل هل حجازي في الشعر العربي بأسره أكبر الفن انه للوقوف على حركة هذا الشعر ، ومدى استجابة الادباء لها كان لا بد من عرض نماذج عديدة لشعراء مختلفين ليكون الحكم صادقا ، والاستنتاج سليما .

على اية حال كانت : ان هناك تدخلا كبيرا في فصول هذا الباب ، وما الفصل الثاني الا تكرار في معظم افكاره ومعانيه للفصل الاول ، وما دام هناك ترابط وثيق بين هذين الفصلين ، فلا داعي للتعمد ، وما دامت الفكرة لم تستوعب او تودد ابعادها في كل فصل .

ومن هذه الملاحظات : ذلك التداخل الكبير بين الابواب ، واذا صح التداخل بين الفصول في باب واحد ، فان هذا التداخل لا يصح ان

يعلم عن نفسه بين الابواب ، لان الابواب وحدات فكرية مستقلة لا يمكن ان تتداخل ، او تتمازج ، فمثلا الباب الثاني من هذا الكتاب عنوانه « قضايا وظواهر فنية ومعنوية » والباب الاول عنوانه « قضايا وظواهر فنية » غالبال الثاني اذن هو نفس عنوان الباب الاول بزيادة كلمة « ومعنوية » وعنوان الباب مفتاحه والقارى يصعب عليه ان يميز بين مفتاح ومفتاح ، ما دامت الصفة واحدة والمسيمات واحدة . قلت في نفسي حينما اخطط عنوان الباب الثاني بالباب الاول : ان المؤلف قد تأثر بهذا الشعر الجديد الذي يتكون الغبوض جزءا من كيانه وعصرنا من عناصر وجوده .

ومما يؤخذ عن المؤلف ايضا انه في الفصل الاول من الباب الثاني تتاول اللغة موضعا قيمتها ومكانتها ، وهو حديث مكرر معاد ، ولم ينس في هذا الفصل ان يوجه نقده الى اللغة العربية القديمة لانها من وجهة المنطق لا تعبر عن التجربة الجديدة ومن هنا تميزت لغة الشعر المعاصر بعامة عن لغة الشعر التقليدية .

ولنا ان نسال المؤلف هل اللغة العربية الفصحى توصف بانها قديمة او جديدة بغ انها قد استقرت اوضاعها ، ونضجت اساليبها ، وكبل بنائها ، وحفظت في اخذ كتاب في اقوى صورة ، واعظم بيان ، واجمل اسلوب ، وما زالت الى اليوم حية متحركة تسمى الى الحياة بتقديم ثابتين .

لعل المؤلف يقصد اللغة العامية ان كان الامر كذلك فهذا موضوع اخر يتعلق بالدراسات اللغوية ، وتطور الكلمات في معركة تصارع اللهجات . هذا ، ويتقص الكتاب فهرس تحليلي يجمع كل الافكار التي تناولها في بحثه ، ويبدو انه من التسوية بكان وضع هذا الفهرس التحليلي لاختلاط الافكار بعضها ببعض مما يصعب وضع حدود او معالم لها .

الناس والخرساء والمعجزة



قصة قصيرة بقلم: حمدي الكنيسي

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

آخرون لم يمـودوا يطيقون الانتظار فأخذوا
بتحركون هنا وهناك .. ويتوقفون لحظات ثم من جديد
يتحركون .. يروحون ويجيئون ..
وأبدا لا تهدأ العيون .. وأبدا لا يتوقف زحف
عقارب الساعة .
— شيء لا يصدق عقل !
— أي أنوبيس هذا الذي يجعلنا ننتظره كل هذا
الوقت ؟
— هو وحده الذي يصل إلى ذلك المكان .
— هو وحده الذي سيجعلنا نرى المعجزة .
— لماذا لا تسير الحكومة أنوبيسات كثيرة إلى ذلك
الجيل ؟
— أنا شخصا عندي عمل في الصباح .
— أنا لم استرح منذ مدة طويلة .. لكنني ضحيـت
براحتي من أجله .
— أنا أول مرة أصدق ما يحكى عن ذلك الشيخ .
— أنا ...

العيون تتطلع إلى آخر الشارع ، وآخر الشارع
لا يصل إليه النظر ...
العيون تعود لتجري وراء عقارب الساعات .
من في يده ساعة ، ومن يسأل الآخر عن الساعة .
وعقارب الثواني والدقائق تحرك بسرعة أذيالها ..
وتنتفـس سوبما تكاد تخطف من العيون إبصارها .
وتعلو الصدور وتهبط ...
ما لم يصلوا قبل ساعة على الأكثر ، ستضيع
الفرصة الكبيرة .
استند البعض على جذع شجرة جفت أوراقها
وتساقطت ...
استند البعض الآخر على كتفك سجاثر يقف
بجوار المحطة ..
آخرون التفوا حول العمود الرقيق الذي ينتهي بتلك
اللوحـة التي كتبت عليها أرقام الأوتوبيسات ..
إمسك شاب صغير — يبدو عليه الإعياء —
بعمود النور والقي عليه عبء جسده .

— هل ذهبت الى الجبل قبل اليوم ؟
 — ابدا .. لكنني سمعت حكايات كثيرة عن معجزات الشيخ .
 — لي صديق قال انه سهر ليلة كاملة بجوار الكهف لكنه لم ير سوى حمامة كبيرة طارت على باب الكهف ثم اختفت .
 — لقد استعادت غفاة بصرها حينما ظهر الشيخ بطلعته البهية من داخل كهفه .
 — ومرضى كثيرون .. ثم شفاؤهم بمجرد وقوع نظره عليهم .
 — ومجات من البشر .. بدات تتدفق عليه من كل مكان ..
 — على اى حال فرصتنا الليلة .. فقط .
 — ولكن الانوبيس الملعون لا يريد ان يصل .
 — ساعة ونصف ونحن في انتظاره .
 — كادوا ينسون كل شيء عنها ، لكنها جذبت عيونهم من جديد حين اطلقت ضحكة غريبة مكتومة .. ضحكة مكتوبة تنتهي بتشنج كالكباء .
 — غريب امر هذه الطفلة .
 — بلنكر في مشكلتنا .
 — انثالها يملأون الشوارع .
 — الهم لماذا لم تنضم الهم وتنضم معهم بجوار اى صائت ؟
 — ربما امجبتها منظرا ..
 — وهل يتعجب منظرا احد ؟
 — نظر الخياط الى عامل يقف بينهم يرتدي سفرة صفراء .
 — انت يا اخ الا تعرف موعد هذا الانوبيس ؟
 — في مثل هذا الوقت .. وهذا المكان لا يعرف له احد ميعادا ..
 — الا تير هنا عربات تاكسي ؟
 — كلا .
 — وما العمل اذن ؟
 — انا شخصيا انتظره معكم .. الا ترى ذلك ؟!
 — فجأة تحرك اقدم نحوها . كان يلبس جلبابا من الصوف .. على راسه طابطة بيضاء . ضيق الكنتين له كرش بارز . سرورته تشبه طلى النيل . انحنى عليها :
 — ماذا تفعلين يا بنتي ؟
 — رفعت راسها ، نظرت الى وجهه لمعت عيناها .
 — لا حول ولا قوة الا بالله .. ابن والدك يا شاطرة ؟
 — ابتسمت . كشفت ابتسامتها عن اسنان بيضاء لامعه . زاد بريق عينيها .
 — مسكينة .. ربما تكون بتيمة ليس لها اهل !
 — جذبه شاب صغير من ذراعه : تعال يا بابا ..
 — انركها ، الحدينة مليئة بامثالها .

— اننا ...
 — اننا ...
 — بسم الله الرحمن الرحيم . من اين جاءت هذه الطفلة ؟ ومتى ظهرت ؟
 — ماذا تفعل هنا في هذا الوقت المتأخر من الليل ؟
 — تحركت الخيوط التي تربط العيون . ارتدعت العيون عن نهاية الشارع ومرت في طريقها على عقارب الساعات ثم توقفت عند بقعة صغيرة من الارض . عليها جلست طفلة لم تتجاوز السادسة . عيناها جبينتان ضاحكتان . نمها ، انها ، غارتها .. ملامحها كلها جبيلة جميلة ..
 — وجهها لم تلبسه المياه — بالثاكد — منذ مدة طويلة ، ولكنه — ورغم الغراب العالق به — نابض بالحياة ، مشرق بالصفاء . حتى شعرها الاصفر الذي لم يلبسه « مشط » يحتفظ بنموه وتواجته ..
 — كانت تجلس على الارض ، وقد باعدت بين ساقيها . في « حجرها » اخذت تضع كل ما تصل اليه يدها . اوراق مزقة مئاثرة . قطع من الزجاج . علب سجائر فارغة . اى شيء . اى شيء تنقله في خفة وسرعة الى حجرها ثم تسوى مكانه تاياما . اصيغت حولها دائرة نظيفة تاياما ... باصابعها اخذت ترسم اشكالاً كثيرة .
 — ماذا تفعل الصغيرة ؟
 — ماذا تفعل الصغيرة هنا ؟
 — انت يا شاطرة .. ماذا تفعلين هنا في هذا الوقت المتأخر ؟
 —
 — لماذا لاتردين يا بنت ؟
 —
 — يبدو انها خرساء .
 — انها خرساء .
 — لكنها تسمع بالتأكيد .
 — الى اين تريدين الذهاب يا شاطرة ؟
 —
 — اترى ؟ انها تسمع .. لقد هزت راسها .
 — ماذا تفعلين هنا ؟ اتبعين عن احد ؟ تكلمي ؟
 — اشارت بيدها نحوهم .. نظر كل منهم الى نفسه .
 — انها من اولاد الشارع .
 — ابدا .. وجهها لا يدل على ذلك .
 — في نهاية الشارع ظهرت حزمة من نور .. عينا وراء عين ابتعدت جميع العيون وعادت الى سباتها بين المقارب ونهاية الشارع . لكنها تسكن على الفور حينما يتحول هذا الثور الى اتجاه اخر ...
 — يبدو اننا لن نصل هذه الليلة .
 — لا بد ان يحضر الانوبيس الان .

نظر القصير نحو الطفلة وقد تمرى فغذاها ؟
 — يا سلام لو كانت كبيرة ...
 — انها هي جميلة والله .
 — دعنا منها . انظر الى الفتاة السمراء التي تت
 وحدها خلف « الكشك » ؟
 — صحيح .. لم انتبه اليها من قبل !
 — انها « من ايامهم » بالتأكيد .
 — لا اعتقد .
 — انظر يا غبي الى « اللقاعة » التي في يدها .
 — ماذا يكون بها ؟
 — قميص النور يا جاسل .
 — اذن .. تعال بنا اليها .
 ورغم مضي الوقت . لم تهدأ العيون . لم تباصر
 في الوقت ذاته لم يتوقف سيل القادحين ليروا المعجزة
 بينما اخذ رجل ضخم الجثة يدور حول نفسه ويصر
 كفا بكف (.. لو كان هنا تلفون ؟ لماذا لم احض
 بعربي ؟ هل اشترط الشيخ ان نحضر اليه في الاثوبيس
 ... عليه العوض في سيرة مصر الجديدة !)
 من جديد تطلعت العيون بنور قوي ظهر من احد
 المخضيات في اخر الشارع . استمر النور في اقترابه
 تسال احدهم
 — انه نور عربة صغيرة .
 — قال اخر : بل عربة نقل .
 — قال ثالث : بل عربة جيش نصف نقل .
 — قال رابع : بل انه الاثوبيس .
 — قال الخامس : اي حاجة .. المهم يصل اليها .
 ازداد النور اقترابا .. لكنه فجأة حول اتجاهه
 واخذ معه العربة الى شارع جانبي .
 في نفس الموقت كان الشابان ينتعدان عن المحطة .
 بينما كانت تسير الفتاة السمراء وحديث هلمس يسدور
 بينهم — كانوا يعرفون بعضهم منذ سنين — سادست
 مفاجئاً تخلصه زغر . كثيرة تذكرها فجأة حينما
 اطلقت ضحكها الخمر . الخلطة في نهايتها بتشنج
 بكاساتي .
 — لا حول الله . لا بد ان نجد حلا لهذه الطفلة .
 — يا بابا ارتكبا لسانها . كبتا ما نحن فيه .
 — ان امثالها في البلد يرددون الان في احضان
 امهاتهم .
 — ربما تكون هي مفعودة على ذلك .
 — اهذا معقول ؟
 — اووه هي حرة .. نحن الان في مشكلة اخرى .
 — ولماذا لا تكون جزءا من مشكلتنا ؟
 — لوسحت يا بابا . لا تكلم عن هذه البنت . السننا
 مثل كل الواقفين ؟

— لم لا نأخذها معنا يا ابني ؟ حتى الصباح على الاقل ؟
 — يا بابا نحن مشغولون الان بما هو اهم ؟!
 — اتعرف يا ابني ان الجو يصبح باردا رطبا حين يطلع
 الفجر ؟ كيف تتحمله طفلة صغيرة مثلها ؟
 — ارجوك يا بابا .. انتظر .. يبدو ان الاثوبيس قد
 اقبل .
 ومن جديد انطوت العيون على نظراتها . ارتسدت
 مطعونة الابل . فقد تحول النور الذي ظهر الى ناحية
 اخرى . ولم يظهر الاثوبيس .
 عادوا يسألون السائل الذي وضع الملق في
 تصرفاته . لم يرد على احد . اخذ يتهتم هلمسا :
 هل اختلقت الاعذار حتى لا احضر الاجتماع ...
 لكي تضيع الليلة .. ولا ارى شيئا ؟
 قطع الصمت صوت الرجل ذي الجلباب الصوفي
 والطاقيّة البيضاء :
 — اسمع يا شاويش .. اليس من واجبك ان تأخذ
 هذه الفتاة الى اي مكان . حتى الصباح على
 الاقل ؟
 قال صوت مثائب : يأخذها الى مركز الاحداث
 قال صوت مقوتر : يأخذها الى القسم .
 قال صوت ضجر : يأخذها الى جهنم ؟
 في رفض واصرار هزت راسها . ولم تختلف
 ابتسامها الناصعة .
 صوب الرجل نظره نحو الشاويش . لم يجب
 الشاويش على نظراته .. وقال لنفسه :
 — انني لم انته من « الوردية » الا الان فقط .. كما
 ان هذه المنطقة ليست في نطاق عملي ..
 قال الرجل ذو الجلباب والطاقيّة :
 — لا بد ان اهلهما يبيتون عنها الان في كل مكان ؟
 قال اخر : ممكن جدا .
 قال الشاويش : لا يبدو ان لها ابا او حتى ام .
 قال الرجل استغفر الله العظيم .
 — انقسم انها متشردة بنت متشردة .
 — ابدا .. انا انقسم انها بنت ناس .. ناس طبيين .
 — ولكن لماذا لا نتكلم ؟
 — واضح يا اخي انها خرساء .
 — خرساء عبياء ما لنا نحن . المهم في الاثوبيس
 الذي لم يصل !
 — يقولون ان الشيخ يخرج للناس لحظة « خاطفة » ..
 ثم يختفي داخل كهفه .
 — لو اعطاني الفرصة لانرغ هوموي .. كنت احتاج
 الى يوم كامل .
 تبادل شابان نظرة خاطفة . لم يتحدث احدهما مع
 الاخر منذ وقتا .



اطلق الرجل زفرة عميقة .. وسكت .. تسلل
الى الاسماع نقيق .. ياتي من بعيد .
عادت العيون تتطلع الى نهاية الشارع .
من جديد ظهر شعاع قوي يرتفع قليلا عن مستوى
الارض لمعت العيون ، تحفزت النظرات ، همس كل
منهم لنفسه : « انه هو » اقترب الشعاع رويدا رويدا .
تحول الهمس الى صوت مسموع « انه هو » قالت نفس
الهمسات : المهم ان لا يتحول فجأة الى اتجاه مخالف .
ازداد اقتراب الشعاع . زادت قوته . زاد ارتفاع
الهمسات .

انه يتجه نحونا بالتأكيد (انه هو !)
تهللت الوجوه . عبر الاتوبيس دورانا قريبا هدأت
سرعته قليلا . زاد الشـعاع قوة ارعقت العيون
المشدودة . نزل كثيرون من فوق الرصيف . تحركوا على
اسفلت الشارع في انتظاره . وليكونوا اقرب الى ابوابه
من الآخرين .. زادت حركة الرجل والايدي . الجميع
يتأهبون ليكونوا اسبق في القفز الى داخله . لم يعد
يفصل بينه وبين المحطة سوى بضعة امتار . حدث
هرج ومرج .

اشتد التزاحم . تعثر بعضهم . كل واحد يدفع
الاخر الى الخلف او الى الجوانب . سقط كثيرون
على الارض . لم يمتدح احد للآخر ... فجأة .. وقبل
ان يصل الاتوبيس للمحطة انطلقت انواراه وتلاشى
الشعاع . ثم انطلق متدفعاً في سرعة خاطفة دون ان
يتوقف ومتخطياً الجميع ... وبعد لحظة كانت كان
يختفي من الشارع يسبقه الشعاع الذي عاود الظهور
بجرد ابتعاده عن المحطة .

استطلعت العيون ببعضها البعض . لم يغير
احد من موقفه او حركته الاخيرة التي كان يتأهب بها
للكسوب .

شدعة كلبية اللون اخذت تنقز متقلبة بينهم . دون
ان تتحرك الشفاه سمع كل منهم الآخر .

— شيء لا يصدق عقل ؟
— انه خال تماما !
— ليس فيه راكب واحد !
— ما العمل الان ؟
فجأة صاح الرجل ذو الجلباب الصوفي الازرق :
ابن الطفلة !

تنبهوا جميعهم فجأة : اين ذهبت الخرساء ؟!
قال احدهم : لقد رايتها تنقز الى الاتوبيس .
قال آخر : ابدا لقد رايتها بعد ان تخطى المحطة
تماما .

قال ثالث : اقسم انها اختفت في نفس اللحظة
التي مر فيها .

قال رابع : قبل ان ينطفئ النور امانا كانت هي
في اول متعبد !

قال ذو الجلباب : تفكرت .. لقد رايتها تشير
الي وهي تبتسم لكنني لم افهم شيئا .. انشغلت عنها
بترقب فرصة الركوب . وانت السبب طبعاً .
لم يرد عليه ابنة . اطلق راسه .

بدون مقدمات اطلق الصيت فجأة . لم تعد
هناك رغبة في الحديث او الاستماع .. تحركت العيون
كأبسة مرهقة . نظراتها قصيرة لا معنى لها .
جلس بعضهم على الارض . فجلس الباقون .
شق السكون نقيق الضفدعة التي عادت تنتقل بينهم ..
اخرج الكثيرون علب السجائر .. امسكوها في يد وفي
اليـد الأخرى عيدان ثقاب غير مشتعلة ...

في الكويت

روح خفية تقاوم غزو المادة والنفسية...

ترجمة المقال الذي كتبه البروفيسور

« سيبهون جارجي »

الاستاذ في كلية الاداب بجامعة جنيف —

ونشر في ملحق جريدة : (لوند) الفرنسية



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

بنظر من يتعلل الى ما وراء المنجزات الفنية الضخمة ،
التي نقلت الكويت من مجرد قرية صحراوية بسيطة ،
الى حالة مذهلة من التفوق المادي .

وقلما روعي سابقا جانب الانصاف في استشراف
كافة ابعاد الحركة الفكرية والروحية ، التي تتبدى
معالمها في الكويت عبر نشاط ثقافي واسع النطاق . اذ ،
هل يعرف الجميع ان الكويت بالذات هي التي تصدر
مجلة (العربي) : المجلة الثقافية الاوسع انتشارا
في العالم العربي ، والتي يطبع منها ويوزع اكثر من
٢٢٠ ألف نسخة شهريا ؟

وكذلك بالامكان ضرب الامثلة في انجازات اخرى
مماثلة ، استطلعا لحقيقة الوجهه الاخر ، غير
المعروف حق المعرفة ، للكويت التي لا ينظر اليها الا
كخزان هائل للثروات النفطية : فهناك مجلة : (البيان)
التي يشرف على تحريرها عبدالله زكريا الانصاري ،
بحق ذلكاء ووعي واثبات ، تقدم منبرا حرا مثاليا

« أوقد ، فان الليل ليل قمر
والريح يا غلام ريح صر
ان جلبت ضيفا فانت حر »

(حاتم الطائي)

عندما يلوح المسافر ليلا ، عبر اجواء الصحراء
العربية . تلك الاضواء المنبعثة من اعالي نيران
« الاخدي » الدالة على اقترابه من الكويت ، لا
يسعه الا ان يتخيل امامه نيران المضارب العربية التي
طالما تغنى بها الشاعر الجاهلي : حاتم الطائي .
ولكن القوافل السارية في رمال الصحراء ، قد
تركت الان مسالكها للثنايب .. كما ان السنة النيران
المدلعة باتت لا تشب الا من زيت اسود يغض به
جوف الارض ...

فهل يعني هذا ان لواء الشعر قد طوي فوق
موطنه القديم الامثل ؟؟ لا . لم يحدث مثل هذا —

لحيلة التلم والمفكرين .. ثم مجلة (الوعي الاسلامي)
لعرض الفكر الاسلامي .. الى جانب عدد وفير من
المصحف اليومية والاسبوعية السياسية والاجتماعية
والاقتصادية ، ذات المستوى الرفيع . فضلا عن
جامعة حديثة تفخر بخبرة رفيعة مختارة من الاساتذة
المختصين .. بالإضافة الى رغبة اكيدة في تطور مستمر
يجعل الكويت مركز اشعاع فكري وعلمي بالنسبة
لمجموع بلدان الخليج .

ولا بد كذلك من التنويه بالعديد من الاندية
الثقافية والجمعيات ، حيث يساهم التشجيع الرسمي
في ترقية الآداب والفنون ورغما الى مستوى قلما يمكن
الوصول اليه في أماكن أخرى من العالم .

ولكي تتحسس نبضات الحياة في القلب الحقيقي
للكويت العربي — ذلك البلد الميال لفنون الموسيقى
والشعر — لا بد لك من حضور إحدى امسيات رابطة
الادباء ، التي يذكي نشاطها خالد سعود الزيد ،
بحماسة وحيوية .. أو من حضور اجتماع لجمعية
الفنانيين الكويتيين ، حيث يخالق نجم : شادي الخليل .

انك لتراهم هنهنا في الامسيات ، باليستهم
البضاء الفضفاضة ، والكوفية والعقال ، منصرفين كليا
الى ما يفوق لديهم اسمى الشواغل بعد عشاء يوم عمل
طويل ، عندما تشدهم الحان (النهام) الشعبية ، أو
تقاسيم العود والقانون .. أو الحان جديدة للتأليف ..
أو تصائد شعر حلوة طريفة .. أو منتقشات
حول المؤلفات الادبية الجديدة ..

وقد يدعشك ان تعرف ان أحد أهم الأسماء في
مهنة الشعر أو الموسيقى .. اذ انهم يأتون من مختلف
القطاعات : فمما هو مؤلفون أو دبلوماسيون أو معلمون
أو تجار أو فنيون أو خبراء أو رجال مال واقتصاد ،
أو أخيرا ، مجرد طلبة مدارس عاديين . وغالبا ما ينضم
اليهم وزير ما ، أو موظف كبير كالوكيل المساعد لشؤون
الثقافة والنشر ، صالح شهاب ، الذي وجدته أكثر
سعادة في استماعه لـ « التقاسيم » من جلوسه
وراء مكتبه بالوزارة !

التراث العربي القديم

اذ ان هؤلاء الفنانيين — لشديد رغبتهم في الا
يفقدوا روحانيتهم امام غزو حضارة تقنية مادية
جارية — يعملون على انتقاذ روحانيتهم بلادهم .

وكما حدث دائما في تاريخ العرب ، يحدث اليوم ،
من اضطلاع الشعراء أكثر من غيرهم بهمة تحقيق تلك
الرغبة . والكويت يستطيع اليوم ان يفخر بشعرائه
الذين يبعثون التراث العربي القديم بربطة بجذوره
الاولى ، ويحيون سابق مجده رغم كل الموانع .

ثمة واحد من ابرز الشعراء الحديثين — وهو خالد
الفرج ، المتوفي عام ١٩٥٤ — لا يني يذكر مواطنيه

بماض لم يبعد العهد به ، فيقول في إحدى قصائده :
تصور غدفا لا شيء فيه
سوى رمل به وطء السباع
ولا ماء لدى الرضباء الا
عليه الرمل ناف بالف باع
ولا شجر ادى الصحراء الا
هتيم جاء من أقصى البقاع
يحار به الدليل ويغترويه

به شبهه الحضيض من الفياع
فذاك هو الكويت وساكنته
اذا دهموا (بيوم) غير ساع
ولا تتصورون (اليوم) طيرا
فما هو غير فلك ذي شرع

بني وطني الا انتبهوا هبوا
وشدوا أركم بالاجتماع
ولا تبقوا على الاموال فيما
يكون لنفكم في العصر ساع



عن الفرنسية
بقلم
عصام عسيان
مدير التحرير

أراكم تجلبون القوات جلبا
واغلى ما يكون من المتاع
وتجنون الدراري وهي كنز
يفوق جميع أنواع المساعي
اتبقون الكنوز لتباهيها
وتبنون المباني للتداعي
وامكم الكويت تنث عطشي
الا فلتنع عقلكم التواعي
فهبوا واجمعوا ما فيه نفع
(فما نيل الخلود بمستطاع)

صبايدو اللؤلؤ

وعندما تسبح الثروات التي يتوقعها خالد
الفرج حقيقة راهنة ، يجابهها شاعر الجيل الجديد
بالرفض والاستنكار . واذا هو يتغاضى عن الرهاية
والعز ، نراه يتطلع الى الصحراء : منبع الالهام — حيث

ما زال اغلب الكويتيين يسمعون الى التخميم في فصل الربيع - او الى الخليج : وجه الكويت البحري ، ورمز الكد والجهاد .. بالاضافة الى كونه مصدر الثروات .

ان احدا لم يتحسس جوهر الكويت الروحي - هذا الكامن في نفوس صيادي اللؤلؤ - تحسبا افضل مما انتيج لحمد الفايز : اشهر شعراء المدرسة الجديدة وابلقهم تأثيرا . فان (مذكرات بحار) التي كتبها - لى وثيقة اجتماعية ، فضلا عن كونها عملا شعريا اميل المطلق . ولن تنقل ترجمتها ، مع الاسف ، سوى انطباع ضئيل الاثر . يقول محمد الفايز في ديوانه : (الفور من الداخل) :

« عندي خور

عندي عطور

عندي بخور الهند يا تجار مكتفيا ملوك
عندي القلائد والاساور للجواري والنساء
من يشترى افراح بحار يعود مع المساء
الشمس في عينيه ماتت مثلها مات العبير
والنور في بيت خلا اسولا حصير
وفتل مسرجة كاهداب الضير
لم تثبت الارض الزهور

وعظما مونا بها ؟ اين الحبيبه ؟

ماتت من الجدرى « طيبه »

من يشترى كل المهار ؟

من يشترى كل البحار ؟

يعيون « طيبه » يا نهار

قد اطفأت عينك عيناها فحاربت الضياء

اين الضياء ؟

بعيونها ؟ اين انطلاقات المصغره

وهي مفرقا كخط من نجوم

في ليل ايامي الحزينة ، اين افراح اللقاء ؟

لما اعود ولء اعماقي كتابات المساء

اين المصغرة حين انشرها كلل من عبير

مثل القرنفل ؟ اين ضحكها الحزينة

لما اسود من البحار الى المدينه ؟

افراح عينها تذيب بي العناء

ولقاؤها . اواه ما احلى اللقاء

من غير وعد فالدموع

تهوي مع الفرح الخفي في الضلوع :

احبابنا دخلوا المدينه

يا ليت اهدابي شرع للسفينه

غدا القلوع ... امس رسونا والرحيل غدا .

وما لي من رجوع »

وهذا التصميم على عدم الانسلاخ عن الارض القديمة ، التي تتلوى في عروتها جذور حنين الشعراء

هنا وعواطفهم المشبوبة ، هو اشد بروزا وتحسسا لدى اصغر شعراء الكويت : فايق عبد الجليل ، الذي لم يتجاوز الحادية والعشرين من العمر بعد ، واسمه الحقيقي : فايق محمد العياضي) ، والذي طبعت له وزارة الارشاد والبناء ديوانه المعروف بـ (وسمة وسنابل الطفولة) . غرقه للحضارة المادية المجلوبة من الغرب رفض حاسم لا رجعة فيه ، وهو يعبر عنه في قول يتمثل به ويستنه كذلك قاعدة لحياة :

« تبهرنى صلالة الابنية الجديدة .. ولكنني احب الصدق
في كل جدار طيني قديم »

وبين جدري الطين والاسمنت ، ترجح كفة الشاعر الشاب الى الجدار الاول بدون ادنى تردد . واكثر ما يتمثل صدقه في تعابيره التي هي مزيج من العامية والمصحة :

« يا ناس لا تهدمون السكه

والبيت القديم

يا يه بيننا حلو .. نجبه مديم

... حرام الطين يصير مرمر

حرام الذكري

تحت الهيبت تتكمر

حرام التريك ..

يصير نيون

حرام التسارع الهادي

يصير مجنون

يا ناس لا تهدمون السكه

هذي السكه من قلبي

والبيت القديم مسور بحبي

خلوا نفسه من قلبي

اصبر فيها احساسي

.....

بنام تحت العريش .. خلوني اتام

ما ابي فيلا وحديقة وسور

ما ابي نافورة غرقانه بزهور

ما ابي شرفة وكراسي

ما ابي دوشنق .. سلب

.. ريش الطيور

ابي بيتي القديم

ابي بيت الطفولة

ابي الليوان .. والباب الكسول

احب بيتي صخر او طين

احبه مطرز بجندل

.. مثل اول .. مثل اول ..

عشه صغيرة وسط البيت

وبنية بحطب ومرطبه بسيام



والعاصي ، ومن اصحابها : مرشد البذالي ، وسعد
فهد العسكر ، وعبدالله الدويش ، وعبد المحسن
الرفاعي ، وآخرون .. من يُعيدون الى الذاكرة
— حينما تجمعهم حلقات الانس وتذوات الشعر
المرتجل — ذكرى عهود البطولات التي كان للشعر
في اعلاء شأنها اثر اوقع من ساح الوعى .

شعر ونظ ..! ألا يدوان اذن مثابرين ؟؟؟
— لعلهما غير ذلك لدى شعراء اهدتوا في عالم
تذله التكنولوجيا وتضلله — الى سر التوفيق بين
العيش على السليقة والقطرة .. وحياة التطبع
والتكلف التي تجرف دوامتها الآخرين ..

عصام عسيران

ترنيمة الفجر

دعاني للنول اديك داع
ونجم الصبح مبهور الشعاع
وعين الفجر تطرف في حياء
وقلب الليل يخفق في التياح
وبين النور والظلماء معنى
تجسد في اللقاء وفي الوداع
قصيدته منقطة بقلبي
ويعجز ان يوشحها براعي
فقيت بليليا احلى نداء
واعذب ما تفرق في سماع
وفي روض السكون اخضر امني
وفي بحر الجلال سري سرامي
احلق في سماء من نعيم
واسبح في بحار من مناع
واخفض جبهتي في ارض طهر
أزبد بها شعورا بارتفاعي
هناك .. ارى الحقيقة وهي تجلي
على قلب الحب بلا قناع
الكويت

صلاح عيّد

ومحكر فوق السطح ...

كله ساحري وحمام ...»

ولكن اذا كان الشاعر يأسف لهجوم التجديد
الزاحف ، فهو يظل ، رغم كل شيء ، يجدد في ارض
الكويت القديمة هذه اوتق الروابط بالبدواة ، ولا يراها
مهدة بالزوال حقا الا عندما يساح له ان يزور بلاد
الغرب . وفاق عبد الجليل ، المزدوج الثقافة ،
تكتنفه في لندن اشد احاسيس الغربة .. على الرغم
من اجادته للغة قومه الانجليز :

« في لندن

بلاد الموده والدخان

بلاد الغيم والاطار والبنيان

في لندن قضيت الليل

ليل سنين وانا سهران

حتى اني بديت اشعر

من كثر السهر

ان العيون اللي علي

ما هي عيون انسان

.....

في لندن

بشوارعها يقهاويها

بحدايقها .. وببانيها

بكنائسها .. وملهيا

في لندن

لقيت الدنيا مصبوغة

بصبر ايوب

لقيت المشوق غريب

متلي بدون قلوب

لقيت الحب

رخيص موجود في الشارع

لقيته هناك

على باب العمارة يذوب

في لندن

لقيت الحب .. غير الحب

لقيت المشوق .. غير المشوق

لقيت الليل .. غير الليل

لقيت الناس .. غير الناس

لقيت الدنيا مصبوغة

بصبر ايوب » .

ويمكن ضم اسماء العديد من الشعراء الى
مجموع الذين يجادلون هكذا بسياط شعرهم حضارة
مادية يتبدون على تسلطها وسيطرتها . ولعل هذا
ما يفسر لم تزد في هذا البلد ، المتغير باستمرار ،
تلك الروايات الشفهية التقليدية للشعر الشعبي

الحق صديق مناضل

شعر فؤاد الخشن

من بعد أن علقك التتار من يديك
وأقتلعوا أهدابك الرعشاء .. والاضفار
لكي تغوص في الغيبوبة السوداء في غمامة الدوار
من بعد ما ركلك الذي أحسنت يوم فقره إليه
وجاء في زناينة التعذيب .. كالخفاش في ظلامها
ممرغاً حذاءه بوجهك المصموم ..
ومطفئاً سجاثر الاحقاد في عينيك
من بعد أن شردت ، أن جوعت ..
أن ضربت بالاعقاب من بنادق
يحملها العميل والمنافق
لاحت لك الحقائق
أدركت ما تقاهة الانسان
أن يصير مكلفاً صغير
وابن مارد يكون في إيمانه الكبير يستقبل الآلام ..
في ارتياح من قد أرسلوا ليعملوا
يجملوا الحياة ويسهروا
لفجر من تحملوا مظالم الطفافة .. يقيروا
غد الشعوب .. يرسموا لشمسه المصير ..
فؤاد الخشن

من
أخلاق
العرب

الحق أنطقها وأخبره

قال الشيباني : جلس المأمون يوماً للمظالم ، فكان
آخر من تقدم إليه ، وقد هم بالقيام ، امرأة عليها هيئة
السفر ، ترتدي ثياباً رثة .
فوقفت بين يديه وقالت : السلام عليك يا أمير
المؤمنين ورحمة الله وبركاته ..
فنظر المأمون إلى يحيى بن اكثم ، فقال لها يحيى :
وعليك السلام يا أمة الله ، تكلمي في حاجتك . فقالت :
يا خير منصف يهدي لسه الرشد
ويا إماماً به قد اشرق البلد

تشكو اليك عبيد القوم ارملة
عسا عليها فلم يُترك لها سبد
وابترني ضياعي بعبد مفتعا
ظلمنا ، وفقرني الاهل والولد
فاطرق المأبون حيناً ، ثم رفع راسه اليها . وهو يقول :

في دون ما قلت زال الصبر والجلد
عني ، وفرح مني القلب والكبد
هذا اوان صلاة العصر فاتصري
واحضري الخضم في اليوم الذي اعذ
والجلس المسبت ان تفضّ الجلوس لنا
نُصَفِكَ منه والا المجلس الاحد

فلما كان يوم الاحد جلس ، فكان اول من تقدم اليه تلك المرأة ، فقالت : السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال :

وعليك السلام ، اين الخضم ؟ فقالت الواقف على راسك يا امير المؤمنين ، واومات الى العباس ابنه .

فقال : يا احمد بن ابي خالد ، خذ بيده ، فاجلسه معها مجلس الخصوم ، فجعل كلامها يعلو كلام العباس فقال لها احمد بن ابي خالد : يا امة الله انك بين يدي امير المؤمنين ، وانك تكلمين الامير ، فاخفضي من صوتك فقال المأبون : دعها يا احمد ، فان الحق انطقها واخرسه ثم قضى لها برد ضيعتها اليها ، وامر بالكتاب لها الى العايل ببلدها ان يوغرها ضيعتها ويحسن معاملتها ، وامر لها بنفقة .

وانا نرى بالطرائف والنوادر الدونة تكتب الادب العربي ، الكثير من امثال هذه القصة ، وهي تفوق الحصر ، ويصعب الاحاطة بها ، وتدل على شئنين لها اهميتها باعطاء فكرة صريحة واضحة عن الراعي والرعية .

الاول : صراحة المواطن وجراته في المطالبة بحقه ، فتراه يسير قدما لا يلوي على شيء ، لا تضطرب امامه السبل ، ولا يسيطر عليه الخوف والوجل ، يهيم ان لا يهضم ولا يظلم ، ولا يسلب ما يعتقد انه له ، فترى العربي جوادا باذلا حيث يجب ذلك فيها اذا طرقة طارق او التجأ اليه من يطلب بره ورفده ، او استغاث به بظلم ، وهو يبتل هذه الحال ، لا يحس بغير واجب العطاء ، يبذل دمه وهو راض فخور ، ويسخو بجميع ما يملك ، او بالقسم الافضل منه ، معتزا بانه قام بها

يفرضه عليه ، تاريخه وجوه الذي عاش فيه ، وترتيبه التي مارسها منذ نشأ ، ليس للمال عنده قيمته ، يرتفع بنظره فوقه مهما بلغ وعلا ، حسن الاحدوة وطيب الذكر اما اذا سرق منه او غصب ما يخصه ويملكه فهو خائض غمار ومثير حروب ، لا يهادن ولا يهدأ حتى يرجع اليه حقه السليب ، وصراحته بوجه الحاكم تدل على الكرامة والمزة والاباء ، فهو يقارع ويصاول ، ويكافح ويناضل ، لا يستسلم ولا يرضى بالذعة والهوان ، اذا شمر ان هناك من يظلمه ، ويرغب بالسيطرة عليه ، وقد اشار الشاعر الطائي بآيانه التالية ، الى بعض ملامح القوم والى مقياسهم الدقيق للاروة والمال :

اماي ان المال غاد ورائع
ويبقى من المال الاحاديث والذكر
اماي اني لا اقول لسائل
اذا جاء يوما : حل في مالنا القذر
اماي اما مائع فمبين
واما عطاء لا ينهيه الزجر
اماي ما يفني الثراء عن الفتى
اذا حشرت يوما وضاق بها الصدر
اماي ان يصبح صداي بقفرة
من الارض لا ماء لدي ولا خير
فري ان ما انتفتك لم يك خائري
وان يدي مما تجلت به صفر
وقد علم الاقوام لو ان حاتم
اراد ثراء المال كان له وفر
اماي ان المال مال بذلته
شاو له شكر واخره ذكر

والثاني : عدالة الحاكم وتعميده نفسه على الاخذ بالدستور والتقيده به ، وخضوعه للحق ورمعه له عن كل ما عاده ، وكبحه من جياش شهواته وضبطه نفسه فهي خاضعة لعقله وادارته ، لا يستبد بها الهوى فيصرفها عن معالي الامور ، لذلك تراه لا يحيف في حكمة ولا يجور ، وان مرتبة الولد والاقارب ، والاهل والارحام ، وجميع الميزات والشهوات التي يتقاتل الناس لاجلها ويتفانون فيها ، لا تعدل شيئا بالنسبة للعمل بالعدل والانتصاف ، ووضع قاعدة واحدة لا تتغير ولا تتبدل ، فالقوي عنده ضعيف حتى يأخذ منه الحق ، والضعيف قوي حتى يأخذ له الحق ، وعندنا تكون الحياة بهذا الشكل من المساواة والعدالة يشعر المواطن بالطمأنينة والثقة ، فينتج ويعطي ويرجع لضميره بكل ما يقول وما يفعل ، وهل يوجد اعلى واغلى من هذه الكلمة « دعها يا احمد فقد انطقها الحق واخرسه ؟ » اولئك ابائنا فجنني بظلمهم

اذا جمعنا يا جرير الجامع

علي ابراهيم

بقلم